

5

مِصْنَابُ الْعِلْمِ

العدد الخامس. رجب ١٤٤٠ هـ | فيفري ٢٠١٩ م

نُشْرُهُ دَعْوِيَّةٌ تُعْنَى بِالتَّرَاثِ وَالْمَخْطُوطِ وَالسِّيَرِ وَالتَّارِيخِ

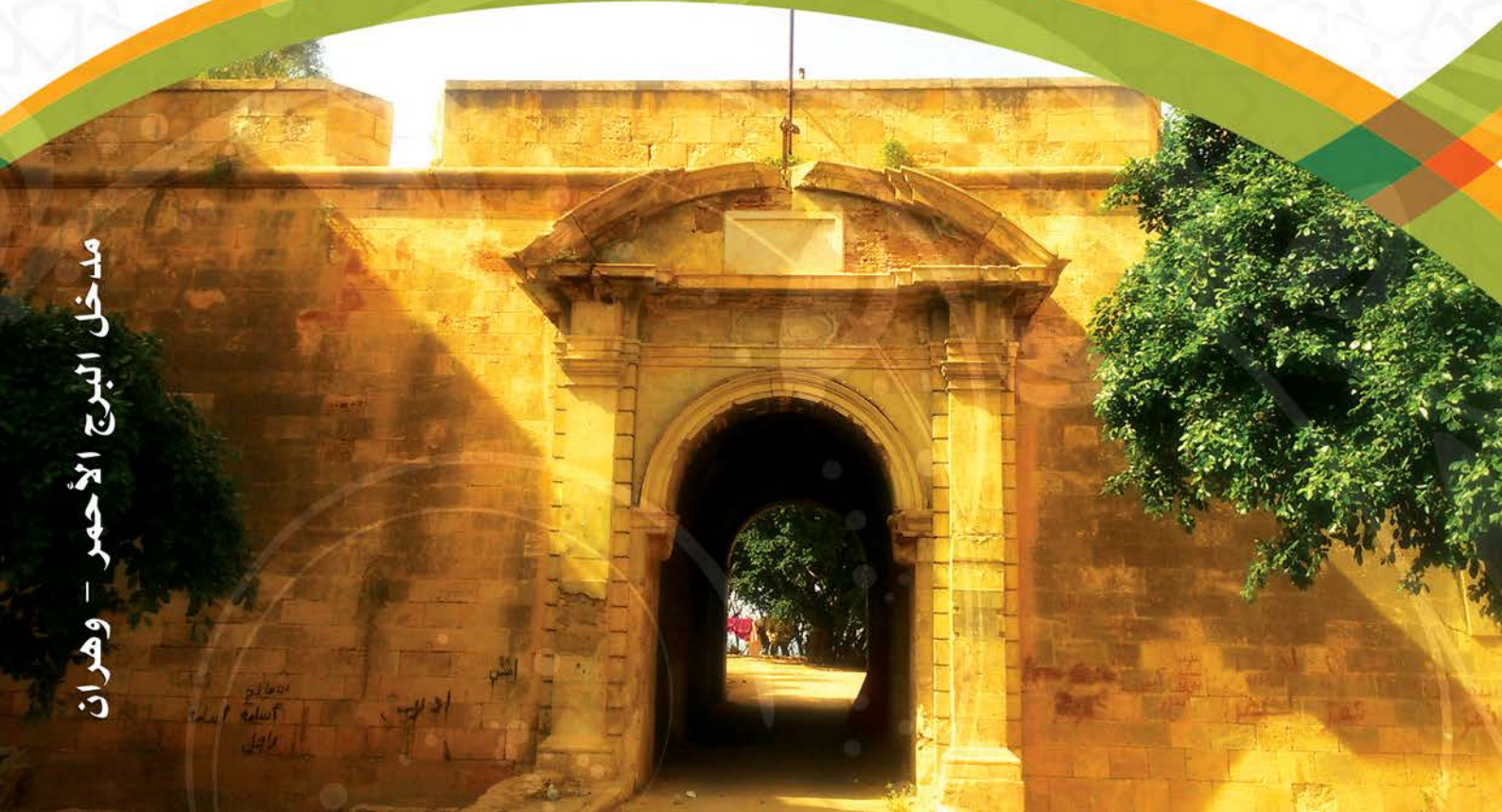
نُصْرَةُ السَّلَفِيَّةِ

قصيدة للشيخ محمد بن عبد الرحمن المسعودي

جَوَانِبُ مُشْرِقَةٍ فِي حَيَاةِ الشَّيْخِ

مُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِطْلَحِيِّ

مدخل البرج الأحمر - وهران



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)
[آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾
[الأحزاب].

أَمَّا بَعْدُ
فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ

تجدون في هذا العدد

العدد الخامس، رجب ١٤٤٠هـ | فيفري ٢٠١٩م

◀ الافتتاحية

02 اللّهُمَّ ارْحَمْ مَنْ عَلَّمَنَا!

◀ عقيدة وتوحيد

03 فَرِيَّةُ الْوَهَّابِيَّةِ (٥٠) - الشَّيْخُ: أَبُو يَعْلَى الزَّوَاوِي

04 جَوَابُ صَرِيحٍ فِي إِنْطَالِ عَمَلِ الصَّرِيحِ - الشَّيْخُ: أَحْمَدُ حَمَّانِي

◀ واقع الأمة

05 تَجَرِبَةُ حَكِيمٍ: سَبِيلُ الْإِصْلَاحِ - الشَّيْخُ: الطَّيِّبُ الْعُقَيْبِي

05 التَّحَرُّبُ وَتَقْدِيسُ الْأَشْخَاصِ! - الشَّيْخُ: الطَّيِّبُ الْمُهَاجِي

◀ سير وتراجم

06 جَوَانِبُ مُشْرِقَةٍ فِي حَيَاةِ الشَّيْخِ مُبَارَكِ الْمِيلِي رَحِمَهُ اللَّهُ

◀ آثار سلفية

15 آثار سلفية في العلم وآدابه

◀ أدب الرحلات

16 مِنْ رِحَالَتِ الشَّيْخِ الْأَزْهَرِيِّ ثَابِتِ (٣٠)

◀ قصائد وأشعار

19 نُصْرَةُ السَّلَفِيَّةِ - الشَّيْخُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْعُودِي

◀ تاريخ ومدن

23 وهران الإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري



نشره دعوية تُعنى بالتراث
والمخطوط والسير والتاريخ

التحرير:

أبو محمد سامر

للتواصل:

الهاتف:

(+213) 557658006

البريد الإلكتروني:

aboumohamedsamir@gmail.com

الموقع:

www.ilmmasabih.com

اللهم ارحم من علمنا!

يَكْفِي مَنْ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ، وَيُدْثِّلُهُمْ عَلَيْهِ، وَيُمَحِّضُ لَهُمُ النَّصْحَ، وَيُوصِّلُ إِلَيْهِمُ النَّفْعَ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى الصَّالِحِ، فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، مِمَّا يَشْمَلُهُ لَفْظُ «الخير»؛ يَكْفِيهِ هَذِهِ الْمُكَافَأَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، الَّتِي حَمَلَتْهَا الْبَشَارَةُ النَّبَوِيَّةُ، «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتُهُ وَأَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ؛ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^[١]، وكما قال الشَّارِحُ الْمُناوِي: «لَا رُتْبَةَ فَوْقَ رُتْبَةٍ مَنْ يَشْتَغِلُ الْمَلَائِكَةُ وَجَمِيعُ الْخَلْقِ بِالِاسْتِغْفَارِ والدُّعَاءِ لَهُ»^[٢] اهـ. وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَيْتَأَكَّدُ فِي حَقِّ الْبَشَرِ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا وَيَدْعُوا لِمَنْ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ يُعَلِّمُهُمُ الْخَيْرَ، وَمَتَى أَخْلَوْا بِذَلِكَ وَغَفَلُوا عَنْهُ، كَانُوا مُضَيِّعِينَ لِحَقِّ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْهِمْ، خَلِيقٌ بَأَنْ يَلَامُوا عَلَيْهِ، وَيُدْمُوا لِأَجْلِهِ، وَيَلْتَحِقَ بِهِمُ الْعَارُ، وَيُصَنَّفُوا فِي مَنْ يَجْحَدُ الْفَضْلَ، وَيُنْكِرُ الْمَعْرُوفَ، وَيَكْفُرُ الْإِحْسَانَ، وَ«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ!».

وَمِنْ سِيرَةِ أَهْلِ الْفَضْلِ مِنَ النَّاسِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ: الدُّعَاءُ لِمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ؛ كَانَ أَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ إِذَا ذَكَرَ مُعَلِّمَهُ -عَلِيَّ بْنَ زِيَادٍ-، يَقُولُ: «إِنِّي لَأَدْعُو لَهُ مَعَ الْيَدِي». وَفِي رَوَايَةٍ: «إِنِّي لَأَدْعُو فِي أَدْبَارِ صَلَاتِي لِمُعَلِّمِي، وَأَبْدَأُ بِعَلِيٍّ بْنِ زِيَادٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَلَّمْتُ مِنْهُ الْعِلْمَ»^[٣].

وَيَقْبُحُ بِالنَّاسِ أَنْ يَذْكُرُوا مَنْ أَفَادَهُمْ وَلَا يَذْكُرُونَهُ بِشُكْرِ وَثْنَاءٍ، وَلَا يَدْعُونَ وَلَا يَتَرَحَّمُونَ -قُبْحٌ جَاحِدٌ إِحْسَانٍ وَنَاكِرٌ فَضْلٍ!؛ رَوَى ابْنُ بَشْكُوَالٍ فِي تَرْجُمَةِ الْقَاضِي عِيَاضٍ عَنْهُ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الصَّدْفِيِّ: سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا مُحَمَّدٍ [رَزَقَ اللَّهُ] التَّمِيمِيَّ بِبَغْدَادٍ يَقُولُ: «مَا لَكُمْ تَأْخُذُونَ الْعِلْمَ عَنَّا، وَتَسْتَفِيدُونَهُ مِنَّا، ثُمَّ لَا تَتَرَحَّمُونَ عَلَيْنَا؟!»، «يَقْبُحُ بِكُمْ أَنْ تَسْتَفِيدُوا مِنَّا، ثُمَّ تَذْكُرُونَا، فَلَا تَتَرَحَّمُوا عَلَيْنَا!». لَمْ يَزِدْ هَذَا الْإِمَامُ عَلَى أَنْ طَالَبَ وَذَكَرَ بِحَقِّهِ عَلَى تَلَامِيذِهِ وَالْآخِذِينَ عَنْهُ وَالْمُسْتَفِيدِينَ مِنْهُ. قَالَ ابْنُ بَشْكُوَالٍ: «فَرَحِمَ اللَّهُ جَمِيعَ مَنْ أَخَذْنَا عَنْهُ مِنْ شَيْوَحِنَا [وغيرهم]، وَغَفَرَ لَهُمْ»^[٤].

وَأَقُولُ مُقْتَدِيًا: رَحِمَ اللَّهُ جَمِيعَ مَنْ أَخَذْنَا عَنْهُ مِنْ شَيْوَحِنَا وَغَيْرِهِمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ.

لَا تُؤْمِرُ بِرِئْسِهِمْ

[١] [رواه الترمذي عن أبي أمانة الباهلي (رحمه الله)، وهو صحيح]. «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٢١٣).

[٢] [«التيسير» (٢/ ٣٣٠)].

[٣] [ترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٨٦)، ط. الكتب العلمية].

[٤] [التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد (ص ٦٧)، وَالصَّلَةُ (ص ٦٦١ - الأبياري)، وَتَارِيخُ قِضَاةِ الْأَنْدَلُسِ (ص ١٠١ - دار الآفاق الجديدة)، وَسِيرَةُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (١٨/ ٦١٣)].

فِرْيَةُ الْوَهَابِيَّةِ (٥٠)

• الشَّيْخُ: أَبُو يَعْلَى الزَّوَاوِي

○ كتب الشَّيْخُ أَبُو يَعْلَى الزَّوَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَجَلَّةِ «الشَّهَاب»^[١] مَقَالَةً فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَصَوِّفَةِ بِعُنْوَانٍ: «مَرَاتِبُ الْعِبَادَةِ ثَلَاثٌ...»، جَاءَ فِيهَا: «...وغير ذلك من تَسْلِيمِ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ لَيْسَتْ مِنْ عَمَلِ السَّلَفِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهَا لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ؛ كِبْنَاءُ الْقُبُبِ وَالْقُبُورِ، وَزِيَارَتِهَا لِلطَّوَّافِ بِهَا، وَإِسْنَادُ مَا يُصِيبُ الزَّائِرَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَطَالِبِ إِلَيْهَا، وَالْحَالُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِشْرَاقِ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عِنْدَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْمُقَلِّدِينَ (بِالْفَتْحِ).

وَقَالَ صَاحِبُ «الْمَخْتَصَرِ» الَّذِي بِهِ الْفَتْوَى فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ: «و[كُرْهٌ] تَطْيِينُ قَبْرِ^[٢] أَوْ تَبْيِضُهُ^[٣] وَبِنَاءٌ عَلَيْهِ^[٤] أَوْ تَحْوِيزُ^[٥] وَإِنْ بُوْهِيَ بِهِ حَرْمٌ».

وَقَالَ الدَّرْدِيرُ^[٦] هُنَا: «وَوَجَبَ هَذْمُهُ. وَمِنْ الضَّلَالِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَغْيَاءِ يَنْبُونُ بِقِرَافَةِ مَصْرِ أُسْبَلَةٍ وَمَدَارِسَ وَمَسَاجِدَ... إلخ قَوْلُهُ: [وهذه الخرافات]، وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ فَعَلُوا الْخَيْرَاتِ، كَلَّا مَا فَعَلُوا إِلَّا الْمُهْلِكَاتِ»^[٧] اهـ.

[١] [المجلد التاسع، الجزء الخامس، غرة ذي الحجة ١٣٥١هـ - أبريل ١٩٣٣م، (ص: ١٩٧-١٩٨).]

[٢] قال الدردير: أي تلبسه بالطين.

[٣] قال الدردير: (أو تببيضه) بالجير.

[٤] قال الدردير: أي على القبر كقبة أو بيت أو مدرسة.

[٥] قال الدردير: (أو تحويز) عليه بأن يبنى حوله حيطان تحديق به...

[٦] هو أبو البركات: أحمد بن محمد العدوي الشهير بالدردير، توفي سنة (١٢٠١هـ).

[٧] «شرح الدردير/ مع حاشية الدسوقي» (١/ ٦٧٣-٦٧٤)

قُلْتُ: مَرَحَى، وَقَدْ أَصَابَ الدَّرْدِيرُ هُنَا، ثُمَّ إِنَّ تَعْجَبَ أَهْلِهَا الْوَاقِفِ عَلَى كَلَامِنَا هَذَا، فَعَجَبٌ أَقْوَالُهُمْ -أعني: المالكية- إِنَّ الْوَهَابِيِّينَ يَهْدُمُونَ الْقُبُبَ وَالْقُبُورَ الْمَزْخَرَةَ الْمُطَافَ بِهَا، وَيَتَّقِدُونَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْتِقَادِ، وَهُوَ مَذْهَبُهُمُ الْمَالِكِيُّ مُحَضَّرٌ، فَلْيَتَّقِدُوا مَالِكَهُمْ قَبْلُ، ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِمَامُ السُّنَّةِ، إِنَّ الْوَهَابِيِّينَ إِلَّا حُنَابِلَةٌ... فَعَلَامَ الْإِنْتِقَادِ وَالطَّعْنِ فِي الْمَذَاهِبِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا؟ أَلَيْسَ ذَلِكَ جَهْلًا فَادِحًا وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؟ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: إِنَّ الْوَهَابِيِّينَ حُنَابِلَةٌ، وَلَا نَعْلَمُ بِمَذْهَبٍ وَهَابِيٍّ، وَإِنَّ ذَلِكَ نَبْزٌ وَنَبْذٌ مِنَ الْمُتَنَطِّعِينَ، بَلِ الْمُتَوَغِّلِينَ فِي الْبَدْعِ وَالْخِرَافَاتِ، فَقَلَّبُوا الْحَقِيقَةَ كَمَا تَقَدَّمَ لِلشَّيْخِ الدَّرْدِيرِيِّ. ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ يَتَشَدَّقُونَ بِكَلِمَاتِ التَّفْرِيقِ؛ يَتَّقِدُونَ مَنْ يُفَرِّقُ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ....، وَلَكِنْ الْحُنَابِلَةُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مَا بِهِ الْفَتْوَى فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَهَابِيُّونَ، لَا يُزْخَرِفُونَ الْقُبُورَ وَلَا يَنْبُونُ عَلَيْهَا الْقُبُبَ وَالْمَسَاجِدَ؛ اللَّهُمَّ إِنَّ مَالِكًا وَسَائِرَ مُتَّبِعِيهِ وَمُقْتَدِي بِهِ بُرَاءً مِنْ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ الطَّعَّانِينَ فِي الْحَقِّ وَفِي دِينِهِمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَشْعُرُونَ وَهُمْ مُتَعَمِّدُونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ تَجَدُّ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ دَرَسُوا مَسَائِلَ قَلِيلَةٍ يَتَشَدَّقُونَ بِقَوْلِ صَاحِبِ الْجَوْهَرَةِ:

فَتَابِعِ الصَّالِحِ مِمَّنْ سَلَفَ

وَجَانِبِ الْبِدْعَةِ مِمَّنْ خَلَفَ

جواب صريح في إبطال عمل الضريح

للشيخ أحمد حمّاني؛ رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر

• الشيخ: أحمد حمّاني

﴿وَلَا يَنْبَغُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وهذا شأن الأَصْنَامِ وَالْقُبُورِ ونحوها.

وتلك الذَّبَائِح على الصَّريح ممَّا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهِيَ فِسْقٌ، وَلَا تَعْمَلُ فِيهَا الذَّكَاةُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

فَمَنْ زَارَ هَذَا (الصَّريح) وَدَعَاهُ وَذَبَحَ عِنْدَهُ، فَقَدْ ارْتَكَبَ ثَلَاثَةَ ذُنُوبٍ:

أَوَّلُهَا: شَدُّ الرَّحَالِ إِلَيْهِ إِنْ سَافَرَ، وَهِيَ مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ، إِذْ لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا لِأَحَدِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ.

ثَانِيهَا: تَقْدِيمُ الذَّبَائِح لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَلَحْمُهَا وَطَعَامُهَا حَرَامٌ.

ثَالِثُهَا: عِبَادَتُهَا بِدُعَاءِ أَصْحَابِهَا لِجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، وَهَذَا شِرْكٌ مَحْضٌ، بَلْ شِرْكٌ أَكْبَرُ لَا شِرْكٌ أَصْغَرُ، أَمَّا الْمُسْلِمُ فَهُوَ مُوَحِّدٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [١]



[١] «فتاوى الشيخ العلامة أحمد حمّاني» (٢/ ٧٥-٧٦)، ط. عالم المعرفة.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «زِيَارَةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ - حَيًّا - مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، إِذَا قَصَدَ الزَّائِرُ أَنْ يَنْتَفِعَ مِنْهُ بِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ، أَوْ بِصُحْبَتِهِ إِنْ أَذِنَ لَهُ، أَوْ بِالدُّعَاءِ لَهُ وَتَوَجُّعِهِ، أَوْ بِتَعَلُّمِ صِنْعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ مِنْهُ.

فَإِنْ مَاتَ وَقَبِرَ، جَازَ لَهُ أَنْ يَزُورَ قَبْرَهُ لِلدُّعَاءِ لَهُ، وَلِلاتِّعَازِ بِقَبْرِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَالِهِ، هَذَا إِنْ كَانَ فِي قَبْرِ عَادِيٍّ فِي مَقْبَرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ قَدْ بُنِيَ قَبْرٌ وَزَادَ فَوْقَ شِبْرٍ، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ مَلْعُونٌ، وَمَنْ أَوْصَى بِبِنَاءِ قَبْرِهِ كَذَلِكَ مَلْعُونٌ، وَكَذَلِكَ بِنَاءُ قُرَابَةِ (ضَرِيحٍ) عَلَيْهِ، فَقَدْ أَشْبَهَ عَمَلُهُ عَمَلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَفِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وَمَا جَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ إِلَّا لِتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ، وَقَدْ قَالَهُ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فِي مَرَضِ مَوْتِهِ.

أَمَّا اجْتِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ قُبُورِهِمْ، وَتَقْدِيمُ الذَّبَائِح، وَدَعْوَتِهِمْ لِجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَنْ اعْتِقَادٍ فَقَدْ عَدَّهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُسَمِّ عَمَلُهُ عِبَادَةً، فَالِدُّعَاءُ عِبَادَةً أَوْ هُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ، وَدَعْوَةٌ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ ضَلَالٌ مُبِينٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ

تَجَرِبَةٌ حَكِيمٌ: سَبِيلُ الإِصْلَاحِ ...

• الشَّيْخُ: الطَّيِّبُ الْعُقَيْبِيُّ

■ مِنْ أَوَاخِرِ مَا كَتَبَ الشَّيْخُ الطَّيِّبُ الْعُقَيْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (عام ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م) قَوْلُهُ [١]:

«إِنِّي بَلَوْتُ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي خِدْمَتِي لَهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقَاسَيْتُ فِي سَبِيلِ الإِصْلَاحِ مَا قَاسَيْتُ، وَكَانَتِ التَّجَرِبَةُ قَاسِيَةً، كَادَتْ تُؤَدِّي إِلَى الْيَأْسِ مِنْ نَجَاةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَغْبُونَةِ، وَلَكِنْ اعْتَقَادِي فِي إِصْلَاحِ حَالِهَا لَا يَزَالُ الْيَوْمَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمْسٌ؛ وَهُوَ أَنَّ نَجَاةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالسَّيْرِ عَلَى ضَوْءِ تَعَالِيْمِهِمَا قَوْلًا وَعَمَلًا، فَالْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي وَحَدَّاهَا فِي الْمَاضِي وَهُوَ الَّذِي يُوَحِّدُهَا الْيَوْمَ وَغَدًا، وَلَا أَسَاسَ لِلْوَحْدَةِ أَشَدُّ قُوَّةً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالَّذِينَ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفِ» اهـ.

نَجَاةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ

لَا يَحْصُلُ إِلَّا فِي التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

وَالسَّيْرِ عَلَى ضَوْءِ تَعَالِيْمِهِمَا قَوْلًا وَعَمَلًا.

الشَّيْخُ: الطَّيِّبُ الْعُقَيْبِيُّ

التَّحَرُّبُ وَتَقْدِيسُ الْأَشْخَاصِ! ...

• الشَّيْخُ: الطَّيِّبُ الْمُهَاجِي الْوَهْرَانِي

■ قَالَ الشَّيْخُ الطَّيِّبُ الْمُهَاجِي أَصْلًا الْوَهْرَانِي مَنْزِلًا وَمَدْفِنًا رَحِمَهُ اللهُ - فِي كَلِمَةٍ لَهُ بِعُنْوَانٍ: «لِنَكْتَفِ بِالْإِنْتِمَاءِ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِنْتِسَابِ لِلْوَطَنِ» (عام ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م)، قَالَ فِيهَا [٢]:

«إِنَّ اتِّحَادَ الْأُمَّةِ لَيْسَ هُوَ مُمَكِّنًا لِمَنْ يَقَعُ فِيهَا بَعْدُ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ وَاقِعٌ مُرْتَكِزٌ فِي النُّفُوسِ وَمُقَرَّرٌ فِي الْأَذْهَانِ يَشْعُرُ بِهِ وَبِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ كُلُّ الْأَفْرَادِ وَجَمِيعُ الْهَيْئَاتِ، وَالَّذِي يَعُوقُ تَحَقُّقَهُ خَارِجِيًّا طَبَقَ مَا فِي الْأَذْهَانِ وَيَحْرِمُ الْأُمَّةَ مِنْ اسْتِثْمَارِهِ هُوَ الْإِنْتِمَاءُ لِلْأَحْزَابِ وَالتَّحْيِيزُ إِلَى الْفِئَاتِ وَالتَّشْيِيعُ لِلطَّوَائِفِ وَالتَّفَانِي فِي تَقْدِيسِ الْأَشْخَاصِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ التَّفَرُّقِ وَالْإِنْحِلَالِ، فَالْوَاجِبُ بِذَلِكَ الْمَجْهُودُ وَاسْتِفْرَاجُ الْوُسْعِ فِي مُعَالَجَةِ هَذِهِ الْأَذْوَاءِ الَّتِي فَتَكَتْ بِالْمَجْتَمَعِ وَأَنْهَكَتْ قُوَاهُ، وَمَتَى نَجَحَتْ الْعِلَاجَاتُ وَزَالَتْ بِوَاسِطَتِهَا الْفَوَارِقُ وَمُجِي أَثَرُهَا مِنَ النُّفُوسِ وَاكْتَفَيْنَا بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاقْتَنَعْنَا بِالْإِنْتِسَابِ إِلَى الْوَطَنِ، فَإِنْ اتَّحَدْنَا يَتَجَلَّى بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْهَيْئَاتِ بِأَجَلَى مَظَاهِيرِهِ وَيُصْبِحُ عُرْوَةً وَثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا» اهـ.

[٢] [جريدة «المنار» لمحمود بوزوزو، عدد ٢٠، (ص ٣)].

[١] [جريدة «المنار» لمحمود بوزوزو، عدد ١٧، (ص ١)].

جوانب مشرقة في حياة الشيخ

مبارك بن محمد الميلي

✽ الهُروب من قبضة الذيب:

رُبِّي «مبارك الميلي» يتيم الأبوين [وُلد في ١٨٩٨م]، وهو في حجر جدّه دخل الكتاب وحفظ أجزاء من القرآن وتعلّم مبادئ القراءة والكتابة، وبعد وفاة جدّه «رابح» [ت ١٩٠٨م]، أرغمه عمّه الأكبر على ترك التعليم، ووجّهه إلى العمل الفلاحي والرّعي، كان الفتى مبارك حزينًا متألّمًا؛ حيثُ حُرِم من رغبته في الاستزادة من العلم، وهكذا مضت نحو أربع سنوات على هذه الحال، لم تُثن عزم هذا الفتى عمّا كان تُحدّثه به نفسه؛ إِنَّهُ السَّفَرُ إلى «ميلة» قبلة المتعلّمين. إلى أن جاء يوم هروبه من باديتهم، إلى أقرب مكان يُحقّق له أمنيته أو بعضًا منها، إلى زاوية الشيخ الحسين قُرب «ميلة»، مشيًا على الأقدام لمسافة نحو ٢٧ كيلو مترًا، قطعها في مسيرة يومين شاقّين، لم يتردّد ولم يتهبّب أن يغامر في تلك الدروب والمسالك الجبلية الوعرة، لأجل تحقيق حلمه وبلوغ أمنيته، ولم يمض نحو أسبوعين وهو في تلك الأجواء العلمية في الزاوية التي أوى إليها، حتى ردّه عمّه، وانقلب به وهو يبكي ويتحبّب، وقُطِع مبارك عن العلم مرةً أخرى.

6

لم يزل هذا الفتى عنيّدًا؛ لم ولن يتخلّى عن الغاية التي لم ينقطع عن التفكير فيها، لقد ظلّ مُصمّمًا على الهُروب لإتمام دراسته بِ«ميلة»، لكن عين عمّه الذي شدّد عليه الرقابة، كانت ترصد حركاته ليل نهار، وقد كان الناس يُسمّونه «الذيب»؛، حتى كان يوم سقطت فيه الثلوج بصورة غير عادية، «كان الثلج يصل للرُكبة»!. بهذه العبارة وصف الشيخ مبارك وضعيّة قريته، فقال في نفسه: هذه فُرصتي للهروب من ضغط عمّي وسجنه؛ لأنّه لا يتصور أني أهرب في مثل هذا اليوم! وهكذا نجحت خطّته في الهروب، مشيًا على الأقدام، رغم أنه لم يسبق له السّفر إلى «ميلة»، التي تفصلها عن مسقط رأسه ٥٠ كيلو مترًا. هكذا خاض هذه الثلوج لا يعبأ بخطورة الوضع، ولا بالبرد الشّديد، وبإرادة حديدية، وعناية ربانية، وصل «ميلة» سالمًا. وتمّ له ما أراد. كان ذلك في شتاء عام ١٩١٢م، وعُمُر مبارك (١٥) خمس عشرة سنة^[١].

[١] [«أعلام الإصلاح في الجزائر» لمحمد علي دبوز، (٣/ ٣٢-٤٤)، و«ذكريات زمن البراءة» لمحمد الميلي، (ص ١٩٩-٢٠٠)].

✽ جَدُّ وَمُثَابَرَةٌ:

في مراحل طلب العلم؛ الابتدائي والمتوسط: حفظ أجزاء من القرآن وتعلّم القراءة والكتابة في قريته، وهو دون سن ١٤ سنة، وانتقل إلى «ميلة»؛ يأخذ عن عالمها الشيخ محمد بن معنصر الميلي، فأتم حفظ القرآن، وأتقن الفقه والنحو، وقد حفظ نصف متن مختصر خليل [١].

✽ أَلَمِيعِيَّةٌ وَنَجَابَةٌ:

في مراحل طلب العلم؛ النهائي: قال صديقه الشيخ عبد الحفيظ الجنّان: «أذكرُ-حينما زُرْتُهُ بتونس عام ١٩٢٣، أيام دراسته- نادرةً طريفةً؛ وهي أنه كان يَمُرُّ بنظره على أوراق دروسه ثم يطويها في المحفظة ولا يحملها وقت الدرس، وبعد الفراغ من الدروس يُوجِّهُ أسئلةً غريبةً على أساتذته فيكبرُونَهَا، ويندهشُ لها الحاضرون. فهذا دليلٌ على قُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ» اهـ [٢].

قال تلميذه الشيخ محمد الصالح بن عتيق الميلي:

«واستمرَّ يَلْمَعُ نَجْمُهُ في أوساط الطلبة، إلى أن شارك في امتحان شهادة التّطويع، فحصل عليها سنة ١٩٢٥م بِتَفُوقٍ، وتقديرٍ من لجنة الامتحان، حتّى

[١] [عبد الحفيظ الجنّان، والصادق حماني، «البصائر»، عدد ٢٧، (ص ٢ و ٧)] «الشيخ مبارك الميلي: حياته العلمية ونضاله الوطني» لمحمد الميلي (ص ٣٤٥-٣٤٦ و ٣٥٠). [٢] [«البصائر»، عدد ٢٧، (ص ٧)].

إنَّهُ لَمَّا انتهى من إلقاء الدرس أمامها، قال له شيخ الإسلام «أحمد بيرم»؛ الَّذِي كان ضمن اللّجنة: «أنتَ مُبَارَكٌ علينا، وعلى أُمّتِكَ ووَطَنِكَ» اهـ [٣].

✽ مَلَكَةٌ رَاسِخَةٌ فِي الْفُنُونِ:

قال تلميذه في مدرسة «ميلة»: الأستاذ أحمد الغوالي:

«كان يُمْلِي بالارتجال في النحو والصّرف والفقه ومخارج الحروف والمنطق وشرح قصيدة السّمَوَال، فتعجّبنا! وظنّ البعض منّا أنّه يحفظ ويأتِي، فإذا بنا نراه تَمَادَى على ذلك، ففهمنا أنّ الرجل أعجوبةُ زمانه ذكاء... وذو ملكةٍ راسخةٍ في جميع الفنون» اهـ [٤].

✽ المِطْبَعَةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ:

ذكرَ تلميذه الشيخ أحمد بن أبي زيد قصيدة: أنّ مشروع المِطْبَعَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ التي تأسّست بقسنطينة في شهر أفريل من سنة ١٩٢٥م، هو: «من بَنَاتِ فِكْرِهِ، وأنَّهُ كَانَ مِنَ الْحَامِلِينَ لِلأستاذ عبد الحميد ابن باديس على تأسيسها» اهـ [٥].

وقد صرّح بنحوٍ من ذلك الشيخ عبد الحفيظ الجنّان؛ حيثُ ذكر: أنّه بعد تحصيله على شهادة التطويع من تونس، رجع إلى قسنطينة حاملاً معه مسودة قانون أساسي؛ لِيَحُثَّ الطُّلَابَ وأهل العلم

[٣] [مذكرات محمد الصالح بن عتيق، (ص ٥٠)]. [٤] [«البصائر»، عدد ٢٧، (ص ٨)]. [٥] [«البصائر»، السلسلة الثانية، عدد ٢٦، (ص ٨)].

على إنشاء مطبعة كبرى، تطبع المخطوطات وتنشر الجرائد والمجلات؛ لتحيي أمتة حياة عملية لا نظرية. اهـ [١].

* عادة التدخين والإقلاع عنها:

قال رحمه الله سنة (١٩٣٦م) - فيما رواه ولده الأستاذ محمد الميلي رحمه الله -: «تعلمت التدخين عندما كنت طالباً في تونس، ولما تخرجت وذهبت إلى قسنطينة، لم أنقطع عن التدخين، كانت مدينة كبيرة، لا يلتفت فيها الناس، لمن يدخن أو لا يدخن، حتى إذا ذهبت إلى الأغواط، جلست ثاني يوم وصولي، مع مجموعة من رجالها في متجر ثري من أثريائها هو الحاج ذهينة. سحبْتُ سيجارة من علبة في جيبي، وأشعلتها، بدت الدهشة على الحاضرين، ثم قال لي أحدهم: إن التدخين يُعتبر عيباً في نظر السكان، فكيف إذا كان من يُدخن عالماً دينياً! وإذا كان لا بد من التدخين، فلتفعل ذلك عندما تكون في المنزل، أو في مكان لا يراك فيه الناس. ثم قال الشيخ مبارك لما روى القصة:

قلت: إذا كان عليّ أن لا أدخن أمام الناس، فلن أدخن خفية؛ لأن ذلك يُعد في نظري: نفاقاً!... وأردف: قررت حينئذ أن أتوقف عن التدخين. وقد وجدتُ عناءً شديداً في ذلك. لكن صمدتُ. وهاهي السنة التاسعة التي أقلتُ فيها عن التدخين، ولم

تُعد نفسي تهفو إلى السجائر» اهـ [٢].
* عفة شاب:

لما سافر رحمه الله للعلاج بفرنسا، كتب على كراسة صغيرة كان يُسجل فيها خواطره، كتب في إحدى ورقاتها، تحت عنوان: «لوعة الشوق» ما يلي حرفياً:

«لا أعلم للشوق سلطاناً على عواطفِي عجزت عن تخفيف وطأته قوتي الفكرية إلا مرتين:

- إحداهما: وأنا شاب؛ علق قلبي فتاة، علقتني هي الأخرى. وكانت حرب بين عقلي وهواي. فاز فيها الهوى بالحب العذري، وفاز فيها العقل بالعفة، مع وجود دواعي الفاحشة وفقد موانعها».

* رقة أب:

قال: «ثانيتها: في سفرتي هاته إلى فرنسا لعلاج داء السكري التي دامت من ٢/٣/١٣٥٧هـ إلى ٢٩/٥/١٣٥٧هـ = الموافق: ٢٨/٥/١٩٣٨م إلى ٢٧/٧/١٩٣٨م. فقد كنت أريد أن أنسى كل علاقاتي الشخصية والفكرية أيام علاجي، ففُزت إلا من ناحية ولدي البكر «محمد»، فقد كنت أحتاج لذكره حتى تكاد تنفدت دموعي أمام الناس، ولولاه لكان غيابي أطول» اهـ [٣].

[٢] «الشيخ مبارك الميلي: حياته العلمية ونضاله الوطني» لمحمد الميلي (ص ٧٦-٧٨).

[٣] «الشيخ مبارك الميلي: حياته العلمية ونضاله الوطني» لمحمد الميلي (ص ١٦٠).

[١] «البصائر»، السلسلة الثانية، عدد ٢٧، (ص ٧).

✽ دَعْوَةٌ وَتَأْثِيرٌ:

في سنة ١٩٣٦م، كان الشَّيْخُ مَبَارَكُ يُرْغَبُ سَكَّانَ «مَيْلَةَ» فِي الْبَذْلِ وَمَدَّ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ لِإِبْرَازِ مَشْرُوعِ بِنَاءِ مَسْجِدِ جَامِعٍ وَمَدْرَسَةٍ، فَاشْتَرَوْا أَوَّلًا دَارًا بِ: ٤٠ أَلْفًا^[١]، قَالَتِ التَّقَارِيرُ الْفَرَنْسِيَّةُ: «عِنْدَمَا أَطْلَقَ الشَّيْخُ مَبَارَكُ فِكْرَةَ بِنَاءِ مَدْرَسَةٍ، لَقِيَتْ هَذِهِ إِقْبَالًا حَمَاسِيًّا مَنَقُطِعَ النَّظِيرِ، بَعْضُهُمْ بَاعَ أَرْضَهُ لِتَبَرَّعَ بِثَمَنِهَا، وَهَنَّاكَ مِنْ تَبَرَّعٍ بِالصُّوْغِ، وَهَنَّاكَ مِنْ تَبَرَّعٍ بِبَرَانِيْسِهِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ جَمَعَ الشَّيْخُ مَبَارَكُ ٤٠ أَلْفَ فَرَنْكٍ، اشْتَرَى بِهَا مَنْزَلًا، حَوَّلَهُ إِلَى مَدْرَسَةٍ»^[٢].

وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ قَصِيْبَةً: «جَعَلَهُمُ الْمَيْلِيُّ يُهَيِّنُونَ الْمَالَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي يَبْذُلُهُ رَجَالُهُمْ عَنْ طَوَاعِيَةٍ وَيَتَبَرَّعُونَ نِسَاؤُهُمْ عَنْ طَيْبِ خَاطِرٍ بِأَنْفُسٍ مَا يَمْلِكُنَ مِنْ حُلِيِّ وَمَصُوعٍ!»^[٣].

وَنَشَرْتُ «جَمْعِيَّةَ حَيَاةِ الشَّبَابِ» بِمَيْلَةَ عَامَ ١٩٣٦م قَائِمَةً الْمَتَبَرِّعِينَ لِتَأْثِيثِ مَدْرَسَتِهَا، وَكَانَ مِنْهُمْ: الشَّيْخُ مَبَارَكُ الْمَيْلِيُّ، تَبَرَّعَ بِ: ٥٠٠ فَرَنْكٍ^[٤].

✽ تَبَرُّعٌ وَإِحْسَانٌ:

وَشَرَعَ الشَّيْخُ مَبَارَكُ بَعْدَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، يَقُولُ الْأُسْتَاذُ مُحَمَّدُ الْمَيْلِيُّ -وَلَدُ الشَّيْخِ-: «أَمَّا الْمَسْجِدُ فَقَدْ بَنَاهُ فَوْقَ أَرْضٍ اشْتَرَاهَا الشَّيْخُ

مَبَارَكُ مِنْ خَالِصِ مَالِهِ، مَسَاحَتُهَا أَرْبَعَةُ آلَافٍ مَرْتَبِعٍ، شَيَّدَ مِنْهَا مَنْزَلًا لَهُ، وَاقْتَطَعَ مِنْهَا جُزْءًا جَعَلَهُ بَسْتَانًا لَهُ، وَتَبَرَّعَ بِالْبَاقِي (وَهُوَ الْجُزْءُ الْأَكْبَرُ) لِلْبُنَى عَلَيْهِ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ» اهـ^[٥].

✽ حَتَّى حَرَمُ الشَّيْخِ مُبَارَكٍ وَنِسَاءُ «مَيْلَةَ»!:

فِي سَنَةِ ١٩٣٧م، نَشَرْتُ «الْبَصَائِرَ» قَائِمَةً «التَّبَرُّعَاتِ لِتَشْيِيدِ جَامِعِ «مَيْلَةَ» الْحُرِّ وَمَدْرَسَتِهَا الْحُرَّةِ»، وَقَدَّمْتُ الْقَائِمَةَ الْخَاصَّةَ بِالنِّسَاءِ، وَمِنْهُنَّ: «حَرَمُ الشَّيْخِ مَبَارَكِ الْمَيْلِيِّ» (تَبَرَّعَتْ بِ: مُسَايِسَ)^[٦].

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ حَمَانِي الْمَيْلِيُّ فِي «حَدِيثِ الْمَتَجَوِّلِ» عَنْ زِيَارَتِهِ إِلَى «مَيْلَةَ»: «وَهَلْ نَسِيَ الْقُرَّاءُ مَا قَامَ بِهِ نِسَاءُ «مَيْلَةَ» مِنَ التَّبَرُّعَاتِ لِلْجَامِعِ؟ وَلَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ أَكْثَرَ أَوْلَئِكَ النِّسْوَةِ الْكَرَّامِ كُنَّ يَتَبَرَّعْنَ وَهُنَّ لَا يَمْلِكُنَ أَكْثَرَ مِمَّا تَبَرَّعْنَ بِهِ مِنَ الْحُلِيِّ، وَهَذَا مُنْتَهَى الْكَرَمِ وَالتَّضَحِّيَةِ، وَلَقَدْ أَحْيَيْنَ بِذَلِكَ سُنَّةَ صَدْرِ الْإِسْلَامِ عِنْدَمَا كَانَتِ النِّسْوَةُ يُشَارِكُنَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مَفِيدَةٍ وَيَتَبَرَّعْنَ بِحُلِيِّهِنَّ لِلْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ»^[٧].

✽ إِزَادَةٌ وَجِدِّيَّةٌ فِي الْعَمَلِ:

قَالَ تَلْمِيْذُهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ قَصِيْبَةً: «كَانَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْ حُضُورِ الْاجْتِمَاعَاتِ الْعَامَةِ

[٥] «ذِكْرِيَّاتُ زَمَانِ الْبَرَاءَةِ» لِمُحَمَّدِ الْمَيْلِيِّ، (ص ٥٧ وَ ١٩٨).

[٦] «الْبَصَائِرُ»، السَّلْسَلَةُ الْأُولَى، عِدَدُ (٧٩)، وَ (٨٠).

[٧] «الْبَصَائِرُ»، السَّلْسَلَةُ الْأُولَى، عِدَدُ (١٠٧).

[١] «الْبَصَائِرُ»، عِدَدُ (٧).

[٢] «ذِكْرِيَّاتُ زَمَانِ الْبَرَاءَةِ» لِمُحَمَّدِ الْمَيْلِيِّ، (ص ١٩٧).

[٣] «الْبَصَائِرُ»، السَّلْسَلَةُ الثَّانِيَّةُ، عِدَدُ ٢٦، (ص ٨).

[٤] «الْبَصَائِرُ»، عِدَدُ ٧.

والإدارية للجمعية التي كانت تُعقد غالبًا بالعاصمة، وكثيرًا ما يُسافر وهو في منتهى الضعف؛ مضطجعًا؛ لعجزه عن الجلوس طويلًا! [١].

✽ تَعَفُّفٌ وَإِبَاءٌ:

اشتدَّ المرض على الشيخ مبارك في سنة ١٩٣٦م، بعد جولةٍ كلَّفتهُ بها جمعية العلماء، فطلب بعض رجال الجمعية أن تُعين الجمعية الشيخ مبارك على العلاج، وتَمَّت الموافقة على ذلك بقرار، لم يعلم الشيخ مبارك بذلك الطَّلَب ولا بالقرار، إلَّا بعد حينٍ، فلمَّا علم أنكر ذلك، وردَّ الإعانة ولم يقبلها، ولَمْ إخوانه الذين لم يستشيروه في عرض هذه الإعانة، فاعتذروا له بأنهم يعلمون انقباضه من ذلك، وأنهم يَنْوُونَ أن يُنفقوها عليه من غير أن يُعلموه. وهكذا لم يقبض الشيخ إعانة على مرضه من الجمعية [٢].

✽ وَمَرَّةٌ أُخْرَى... تَبَرُّعٌ وَإِحْسَانٌ:

نشرت «البصائر» في شهر سبتمبر ١٩٣٧م؛ القائمة الثالثة لـ «التبرعات لتشيد جامع ميِّلة الحر ومدرستها الحرَّة»، فجاء ذكر اسم: الشيخ مبارك الميلي؛ تبرَّع بـ: ٥٢٠ فرنك [٣].

✽ ومرةً ثالثة...:

نشرت «البصائر» في شهر سبتمبر ١٩٣٨م؛

القائمة السادسة لتبرعات لتشيد جامع ميِّلة الحر؛ بعد تمام المدرسة؛ فكان مرَّةً أُخرى اسمُ الشيخ مبارك الميلي؛ مُتبرِّعًا بـ: ٥٠ فرنك [٤].

✽ إدارة جريدة البصائر:

حصَّلت جمعية العلماء -ديسمبر ١٩٣٥م/ أوَّل ١٩٣٦م- على الرُّخصة والإذن بإصدار صحيفة تُمثِّلها وتكونُ لسان حالها، فكانت «البصائر»، واختير لإدارتها ورُشح لذلك أوَّلًا الشيخ مبارك الميلي، فأبى عليهم وامتنع من القبول، واعتذر لعظم المسؤولية وثقل الحمل وجلالة العرض، فوقع الاختيارُ بعدُ على الشيخ الطيّب العُقبِي، فأدارها مُدَّةً، ولمَّا رأى هذا الأخير أنَّه صارَ يتحمَّل ما لا يُحتمَل، وأنَّه لا يقدِرُ على الاستمرار، قرَّر التخلِّي عنها، وأعطى إدارة الجمعية مُهلَّةً أخيرة؛ «إلى آخر هذا الشهر فقط!» [٥]، فرأى الجماعة أن يكون الشيخ مبارك الميلي هو الذي يتولَّى إدارة الصحيفة، فاعتذر اعتذاره في المرَّة الأولى، وعُذره هذه المرَّة أقوى، فقد اشتدَّ عليه مرضُ السُّكري، لكنَّهم هذه المرَّة لم يتركوْا له الاختيار ودفعوه إليها دفعًا، ولم يقبل «إلَّا مُكرَّهاً إِكْرَاهًا أَدْبِيًّا»، كما قال، وقال أيضًا: «فتقدَّمتُ إلى العمل وأنا أُرَدِّدُ قولهم في المَثَل: «مُكْرَهُ أَحَاكَ لَا بَطْلَ». وَتَسَلَّمَ إدارتها- ابتداءً من عدد ٨٤- وهي مدينةٌ بأكثر من عشرين

[١] «البصائر»، السلسلة الثانية، عدد ٢٦، (ص ٨).

[٢] «البصائر»، عدد (١١٤).

[٣] «البصائر»، عدد (٨١)، (ص ٣).

[٤] «البصائر»، عدد ١٣٣، (ص ٨).

[٥] «البصائر»، عدد ٨١، (ص ٦).

ألف فرنك^[١].

قال تلميذه الشيخ أحمد بن أبي زيد قصيدة الأغواطي: «أسندت إليه إدارة «البصائر» في سنة ١٩٣٧م بقرار من المجلس الإداري لجمعية العلماء؛ فقام بواجبه خير قيام رغم متاعب الصحافة وتكاليفها ورغم المرض المزمن المضني الذي أنك قواه ونغص عليه حياته... كان يذهب من ميلّة إلى قسنطينة كل أسبوع للإشراف على إصدار «البصائر» اهـ^[٢].

* خبيرة بالمطبوعات:

تكلم الشيخ مبارك (سنة ١٩٣٧م) عن كتاب «آثار المدينة المنورة» لمؤلفه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وتعجب كيف أن الكتاب طبع منذ سنوات، وأنه لم يسمع به، حتى أهدها إليه مؤلفه، قال: «هذا مع خبرتنا بكثير من تأليف مصر قبل بروزها من المطبعة!» اهـ^[٣].

* مبارك الكاتب وفقه اللغة:

يقول الأستاذ الأديب حمزة بوكوشة: «تدل آثاره (الكتابية) على صدق التصوير والبلاغة في التحرير، ولقد سمعت من أستاذنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله أن علماء الجزائر وأدباءها،

لا يلتزمون بالمحافظة على استعمال فقه اللغة فيما يكتبون، وحتى الأستاذ عبد الحميد بن باديس قد يتسامح أحياناً، إلا الشيخ المبارك الميلي؛ فإنني تتبعته فوجدته محافظاً على فقه اللغة فيما يكتبه. وهذه شهادة من إمام من أئمة اللغة، ألا وهو محمد البشير الإبراهيمي، ولا ينبئك مثل خبير اهـ^[٤].

* مبارك؛ الشاعر المجهول:

في وفد جمعية العلماء بوادي سوف ونواحيها، يقول الشيخ حمزة الذي صاحب الوفد من بسكرة، وسار معهم صباح الأربعاء [شوال ١٣٥٦هـ = ديسمبر ١٩٣٧م] على سيارة خاصة؛ قال: «فسارت بنا وانسابت في الرعاء انسياب أفعوان الحق الذي يفر الباطل من فحيحه، وأصبح لنا الشيخ المبارك الميلي شاعراً مبدعاً بعدما كنا نظنه ناثرًا فحسب، فعندما وصلنا رمال وادي سوف والسيارة تميل بنا يمنة ويسرة؛ كسفينة في الأمواج المتلاطمة، قال الشيخ حفظه الله:

رَمَالُ الْوَادِ يَا خَيْرَ الرَّمَالِ

وَيَا حِصْنَ الْعُرُوبَةِ فِي النَّزَالِ

...» اهـ^[٥].

* سيداتي!! سادتي!!:

قال الشيخ مبارك عن استماعه للإذاعة العراقية،

[١] «البصائر»، عدد ٨٤، (ص ١-٢)، وعدد ١٥٦،

(ص ٢).

[٢] «البصائر»، السلسلة الثانية، عدد ٢٦، (ص ٨).

[٣] «البصائر»، عدد ٨٠، (ص ٧).

[٤] «الشخصيات الجزائرية في القديم والحديث: مقالات

الأستاذ حمزة بوكوشة»، (ص ٣٥٧-٣٥٨).

[٥] «البصائر»، عدد ٩٣، (ص ٣).

كان الشُّكْرُ لَا يكون على واجب. فأوقفه المِيلي وقال: «بل إِنَّمَا الشُّكْرُ الْحَقُّ على فِعْلِ الْوَاجِبِ، وانظر إلى ثواب الله كيف يُضَاعَفُ في الواجبات» - من حِدَّةِ نَظَرِ المِيلي ونكاته الأدبية الَّتِي لَا يَخْلُو مَجْلِسُهُ مِنْهَا - اهـ [٣].

* الْعِلْمُ لَا وَطْنَ لَهُ:

انتقل الشيخ مبارك المِيلي إلى الأغواط - سنة ١٩٢٦م -؛ تلبيةً لدعوةٍ من أحد الكبراء، وهذا بعدما أقام بقسنطينة نحوَ سنةٍ معلِّمًا في مكتب الدروس العربية «مكتب سيدي بومعزة» (١٩٢٥م - ١٩٢٦م)، وقد غادره حيث لم يكن يتوقَّعُ لَهُ النَّجَاح. نعم، قَبْلَ الشَّيْخِ مبارك دعوةُ الْأَغْوَاطِيِّينَ؛ لِأَنَّهُ - كما قال الشيخ أحمد بوشمال سنة ١٩٢٧م: «لَا وَطْنَ خَاصًّا لِلْعِلْمِ؛ فَحَيْثُمَا وَجَدَ الْعَالِمُ ثُرْبَةً طَيِّبَةً لِبَذْرِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهَا» [٤]، وَهِيَ الْكَلِمَةُ نَفْسُهَا الَّتِي قَالَهَا الشَّيْخُ مبارك الذي رجع بعد سنين إلى بلده «مِيلة»، يُدِيرُ مَدْرَسَتَهَا «مدرسة حياة الشَّباب»، وزار المدرسة في أحد احتفالاتها تلميذُهُ الْقَدِيمُ بِمَدْرَسَةِ الْأَغْوَاطِ - الشَّيْخُ أَبُو بَكْر بن بلقاسم الْأَغْوَاطِي -، فَقَدَّمَهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّهُ رَجَعَ بِشَهَادَةِ التَّحْصِيلِ مِنْ تُونِسَ إِلَى بَلَدَتِهِ الْأَغْوَاطِ، وَطَلَبَ رُخْصَةَ التَّعْلِيمِ، فَلَمْ تَأْذِنْ لَهُ الْحُكُومَةُ، فَجَاءَتْهُ الدَّعْوَةُ مِنْ قَسَنْطِينَةِ فَلَبَّاهَا، فَكَانَ مِنْ أَسَاتِذَةِ مَدْرَسَةِ

وبعد أن ذكر إعجابه بالمذيع العراقي: «... ومع ذلك نوذُّ لو يُجَرَّدَ لُغَتُهُ مِنْ غَيْرِ لُغَةِ قَوْمِهِ؛ فَلَا يُقَدَّمُ السَّيِّدَاتُ عَلَى السَّادَةِ!» [١].

* إِنِّي أَكْرَهُ التَّوَاضُعَ الْقَاتِلَ لِلطَّمُوحِ:

في حفلة تدشين «مدرسة حياة الشَّباب» بمِيلة عام ١٩٣٧م، خطب جملة من الخطباء قدمهم الشَّيْخُ مبارك واحدًا واحدًا، وبعد أن قدَّم الشَّيْخُ عبد الحفيظ الجنان، نكَّتَ الخطيب على الشَّيْخِ المِيلي تقديمه، وقال: أنا لا أستحق منك أيها الأستاذ هذا الثناء، وأراد أن يزيد في تواضعه، فأجابه المِيلي بـ (قوله): «إِنِّي أَكْرَهُ التَّوَاضُعَ الْقَاتِلَ لِلطَّمُوحِ، كما أَكْرَهُ الْغُرُورَ الدَّاعِيَ لِلشُّرُورِ» اهـ [٢].

* لَا شُكْرَ عَلَى وَاجِبٍ!:

في حفلة تدشين «مدرسة حياة الشَّباب» بمِيلة، ٢ شوال ١٣٥٦هـ = ٥ ديسمبر ١٩٣٧م، يقول الشَّيْخُ عبد الحفيظ الجنان في مكاتبتة: «ألقي المبارك في النادي الإسلامي خطاب الترحيب بالوافدين، وقدَّم الخطباء، وبعدما خطب الشَّيْخُ أَبُو صَالِحٍ مِنْ «شَاطُودَانٍ» (شَلْغُومِ الْعِيدِ حَالِيًّا)، خطب الشَّيْخُ عبد اللطيف القنطري (سُلْطَانِي) مِنْ «القرارم» بعد أن عرَّفَ به الشَّيْخُ المِيلي.. وقال: بعد الحمد لله والصلاة على من لا نبي بعده: تحية يا أهل مِيلة على قيامكم بالمدرسة، وشُكْرًا لكم، ولو

[٣] «البصائر»، عدد ٩٤، (ص ٥).

[٤] «الشَّهاب»، عدد ٨٥، (ص ١٥).

[١] «البصائر»، عدد ٩٣، (ص ٣).

[٢] «البصائر»، عدد ٩٥.

✽ تلميذٌ مفجوعٌ بأستاذه:

يقول الأستاذ محمد الميلي: اطلعتُ على رسالة وجهها إلى الشيخ البشير الإبراهيمي، وكان هذا الأخير طلب منه أن يصف له يوم جنازة الأستاذ الشيخ ابن باديس - يقولُ له فيها على ما أذكر معناه: «عندما سمعتُ لدى وُصولي إلى قسنطينة بموته، شعرتُ أنَّ الدَّورَةَ الدَّمَوِيَّةَ أَصَبَتْ تَسِيرُ في عكس الاتجاه المعهود. وعَرَفْتُ في الحينِ أَنَّ دَاءَ السُّكَّرِي، قَدْ عَاوَدَنِي، وَأَنَّهُ لَنْ يُفَارِقَنِي حَتَّى يَقْضِيَ عَلَيَّ» اهـ [٥].

ويقول الأستاذ أحمد حماني الميلي: «لَمَّا تُوْفِّي الشيخ ابن باديس - في ١٦ أبريل ١٩٤٠م - كان وَقَعُ ذلك عليه أليماً، وأُغْمِي عليه بقرب جثمانه، غير أنه استعادَ وَعْيَهُ وملكَ صبره وإيمانه» [٦].

ويقول الأستاذ محمد الصالح بن عتيق الميلي: «انتهى موكب الجنازة إلى المقبرة الخاصة بالعائلة، ووضع الجثمان وتقدَّم العلامة مبارك الميلي وصَلَّى عليه، وأَبْنَهُ بِكَلِمَاتٍ مُؤَثَّرَةٍ، جاء فيها يُخاطَبُ الرَّاحِل: «نَمْ هَنِيئًا مَطْمَئِنًّا، فما غرستهُ سَيَنْمُو وَيُثْمِر، فقد تركتَ بعدك رجالاً وإخواناً، وتلاميذ يُجدِّدون لك العهدَ اليوم بأنهم سيواصلون الكفاح ويستمرُّون في السَّير على النهج الذي تركتهم عليه،

جمعية التربية والتعليم القسنطينية، قال: «وَالْعِلْمُ لَا وَطَنَ لَهُ». كان ذلك في شهر ديسمبر من سنة ١٩٣٧م [١].

✽ لا أَكْتُبُ كِتَابَةَ الجرائد!:

قال الشيخ أحمد حماني الميلي:

«سَأَلْتُه ذاتَ يومٍ: لماذا لم تُتِمَّ التَّارِيخُ؟ فاعتذر بالمرض، وبِكثرة الأشغال، وبِجهلِهِ اللغة الفرنسيَّة. فقلتُ: ولماذا لا تفعل كما فعلَ (فلان)؟ فأجاب: إِنَّنِي لَا أَكْتُبُ كِتَابَةَ الجرائد!» [٢].

وَقَالَ في موضعٍ آخر: سَأَلْتُه عام ١٩٣٨م عن سبب تأخيره في إتمام مُهمَّته، فذكر لي هذه الأعذار الثلاثة. فقلتُ: ما بَالُ (بعضهم) قد كتب في نفس الموضوع وأَتَمَّ عمله؟ فأجاب: أنا لَا أَكْتُبُ كِتَابَةَ صُحُفِي! [٣].

✽ تَهَجَّدُ وعبادةٌ مِنَ اللَّيْلِ:

كَانَ مِنَ عَادَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يَقُومَ قَبْلَ الْفَجْرِ بِسَاعَاتٍ، وَيَتَهَجَّدُ فِي الْمَنْزِل. وعندما يَحِينُ وَقْتُ صَلَاةِ الصَّبْحِ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْمَسْجِد. وبعد أداء صلاة الصبح في المسجد يَرْجِعُ إِلَى غُرْفَتِهِ لِيَنَامَ تَعْوِضًا، إِلَى بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ [٤].

[١] «البصائر»، عدد ٩٥.

[٢] كتاب «الشيخ الصادق بن رابح حماني»، لأحمد حماني (ص ٣٩).

[٣] «صراع بين السُّنَّةِ وَالبِدْعَةِ» لأحمد حماني (١٨/٢).

[٤] «الشيخ مبارك الميلي: حياته العلمية ونضاله الوطني» لمحمد الميلي (ص ٨٦ و ٨٩ و ٩٠).

[٥] «الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني»، (ص ١٠٩).

[٦] «صراع بين السنة والبدة» (١٦/٢).

مُسْتَمِدِّينَ مِنَ اللَّهِ الْعَوْنِ، وَمِنْ رَوْحِكَ الطَّاهِرَةِ الدَّلِيلَ وَالْمُرْشِدَ...» اهـ [١].

✽ قَدْ طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ الدَّاءُ!:

قال الشيخ مبارك الميلي في رسالة بتاريخ ٢٩ محرم ١٣٦٤هـ = ١٣ جانفي ١٩٤٥م؛ بعث بها إلى الشيخ محمد خير الدين يتحدث فيها عن شؤون الجمعية وخدمة الصالح العام، وذلك بأقل من عشرين يوماً قبل وفاته، خاتماً رسالته بقوله:

«... قد طال عليّ ذلك الداء، وأنا لست صابراً فقط، بل إنني أحمّد الله على أن وفّقني إلى الرضا بقضائه، وإنّي - عَلمَ الله - لا آسفُ على راحة عزّت، ولا على لذة فُقدت، وإنّما آسفُ على خدماتٍ للدين والعروبة عطلّت، وأسأل الله أن يجعلنا ممّن يُثابون على العمل والنّية، لا ممّن يُثابون على النّية وحدها...» اهـ [٢].

✽ سَامِحْنِي!:

قال الشيخ أحمد حماني الميلي:

«في يوم ٨ فبراير ١٩٤٥م، دخلتُ إلى مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، فوجدت الدكتور ابن الموفق رَحِمَهُ اللهُ نازلاً في درجه، ووجهه مكفهرٌ، ويكاد

دَمْعُهُ يَسِيلُ، فصعدت مُسرِعاً، ولقيت الأخ محمّد صالح بن معنصر، فبادرته بالسؤال: ما الخبر؟ فقال: إنّ الشيخ مبارك في خطر! ففرعتُ ودخلتُ الإدارة حيثُ يوجد، فوجدته مُلقًى على جنبه لا يكادُ يتحرّك، فاقتربتُ منه، وسلّمتُ عليه، فنظر إليّ ومدّ نحوِي يَدَهُ بِضَعْفٍ، وقال: سَامِحْنِي!. وكانت آخر كلمة سمعتها منه، فإنّه أخذَ إلى «ميلة»، ودخل في غيبوبة، ومن الغد يوم ٩ فبراير، تلقّيتُ مكالمَةً من إدارة البريد بقسنطينة من الأستاذ محمود دمق -الذي كان عاملاً بها- فأخبرني أنّه مرّ عليه تليغراف يُخبر بوفاة الشيخ مبارك» اهـ [٣].



قال الشيخ أحمد بوشمال رَحِمَهُ اللهُ:

«لَا وَطَنَ خَاصًّا لِلْعِلْمِ؛ فَحَيْثُمَا وَجَدَ الْعَالِمُ

تَرْبَةً طَيِّبَةً لِبَذْرِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهَا»

[«الشّهاب»، عدد ٨٥، (ص ١٥)]

وقال الشيخ مبارك الميلي رَحِمَهُ اللهُ:

«وَالْعِلْمُ لَا وَطَنَ لَهُ»

[«البصائر»، عدد ٩٥]



[٣] «صراع بين السّنة والبِدعة» لأحمد حماني (١٧/٢ - ١٨).

[١] «مذكرات محمد الصالح بن عتيق»، (ص ١٠٠ - ١٠١).

[٢] كُتِبَ «الشيخ أحمد بن أبي زيد قصيدة: ضور من نشاطه خدمة للإسلام والعربية والجزائر»، إعداد: ابن عمر بن أبي زيد قصيدة، (ص ٢٩).

آثار سلفية

في العلم وآدابه

■ قال: الزُّهْرِيُّ: «نِعَمَ وَزِيرُ الْعِلْمِ: الرَّأْيُ».

وَقَالَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ خَزَائِنٌ، وَتَفْتَحُهُ الْمَسْأَلَةُ».

وَقَالَ: «إِنَّمَا يُذْهَبُ الْعِلْمُ النَّسْيَانُ وَتَرَكَ

المُذَاكَرَةُ». [تاريخ ابن أبي خيثمة، السفر

الثالث، (٢/٢٥٢)، (رقم ٢٧٣٨ و ٢٧٤٤

و ٢٧٤٥)].

■ عن الرَّبِيعِ بن خيثم قال: «كُلُّ مَا لَا

يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ يَضْمَحِلُّ» [الزهد لأحمد بن

حنبل (ص ٤٠٤)].

■ روى الطُّيُورِيُّ (رقم ١٠٦٣) بِإِسْنَادٍ حَسَنِ،

عن الجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «مَا أَحَدٌ طَلَبَ شَيْئًا بِجِدِّ

[وَصِدْقٍ] إِلَّا نَالَهُ، فَإِنْ لَمْ يَنْلُهُ كُلُّهُ نَالَ بَعْضَهُ!»،

ورواه -أيضاً- الخطيب البغدادي في «الجامع»

(رقم ١٥٥٥).

■ وروى (رقم ١٥٥٨) عنه أيضًا قَالَ: «بَابُ

كُلِّ عِلْمٍ نَفِيسٍ جَلِيلٍ؛ مِفْتَاحُهُ: بَذْلُ الْمَجْهُودِ».

■ عن عُثْمَانَ بن عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ [عُرْوَةَ بنِ

الرُّبَيْرِ]؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: «أَيُّ بَنِي! إِنَّ أَزْهَدَ

النَّاسِ فِي عَالَمٍ: أَهْلُهُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ فَتَعَلَّمُوا، فَإِنَّكُمْ

تَوْشِكُوا أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ، إِنِّي كُنْتُ صَغِيرًا لَا

يُنْظَرُ إِلَيَّ؛ فَلَمَّا أَدْرَكْتُ مِنَ السَّنِّ مَا أَدْرَكْتُ جَعَلَ

النَّاسُ يَسْأَلُونِي، فَمَا أَشَدَّ عَلَى امْرِئٍ يُسْأَلُ عَنْ

شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ فَيَجْهَلُهُ» [تاريخ ابن أبي خيثمة،

السفر الثاني، (٢/٩٢٨)، (رقم ٣٩٦٩)].

■ عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، قَالَ: «مَا أَتَيْ شَيْءٌ إِلَيَّ

شَيْءٌ أَزَيِّنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ». [تاريخ ابن أبي

خيثمة، السفر الثالث، (٢/١٥٢)، (رقم ٢١٦٥)].



مِنْ رِحْلَاتِ الشَّيْخِ الْأَزْهَرِيِّ ثَابِت (٠٣)

تابع = الرحلة الموقفة - زمن الكهولة (١٩٨٣) ملتقى الفكر الإسلامي

قال (حفظه الله):

أَنَّهُ قَالَ: بَقِيَ الْمَنْبَرُ فِي الْمَسْجِدِ مُعَلَّقًا إِلَى وَقْتِ
الْإِسْتِقْلَالِ. وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ، فَلَقَدْ رَجَعَ كُلُّ
شَيْءٍ مَجْرَاهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

(٦) جَامِعُ أَحْمَدُ بَاي

جَامِعُ أَحْمَدُ بَاي يَعْبُزُ الْقَلَمَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَدِيعِ
وَشَكْلِهِ الرَّفِيعِ.. إِنَّهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الْمَسَاجِدِ الْقَدِيمَةِ
فِي النَّقْشِ وَالتَّخْطِيطِ، وَلَعَلَّنِي أَقُولَ: هُوَ رَوْعَةٌ فِي
التَّجْمِيلِ وَالتَّنْسِيقِ مُنْذُ الْقَدَمِ، وَرَغْمَ الْإِحْتِلَالِ
الْفَرَنْسِيِّ حَيْثُ حَوَّلَ إِلَى كَنِيسَةٍ مَا يَرَبُّو عَلَى قَرْنِ
وَنِيفٍ، فَلَقَدْ بَقِيَ عَلَى حَالِهِ وَطَرَايزِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ
الْعَظِيمِ، لَا سِوَمَا الْمَحْرَابِ الْجَمِيلِ، وَالْمَنْبَرِ الْأَشْمِ
الْأَنِيقِ، وَقَدْ قِيلَ لِي: إِنَّ فَرَانْسَا أَرَادَتْ أَنْ تَنْقُلَهُ إِلَى
بَارِيسَ، حَيْثُ رَفَعَتْهُ إِلَى عُنَابَةٍ، لَكِنْ لَمْ يَسَاعِدْهَا
الْحِظُّ. وَقِيلَ عَنْ طَرِيقٍ آخَرَ؛ يَرَوِيهِ أَحَدُ قِيَمَائِي [ي]
الْمَسْجِدَ، يَرَوِي قِصَّةَ الْمَنْبَرِ عَنِ الشَّيْخِ النُّعَيْمِيِّ؛

وَصَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ فِيهِ بَعْدَ [١:٣٠]، وَاعْتَلَى
الْمَنْبَرِ الشَّيْخُ عَلِيٌّ مَغْرِبِيٌّ، وَأَمَّ آلَافُ الْمُصَلِّينَ مِنْ
الْبَلَدِ وَغَيْرِهِ، مِثْلَ الْمَوْكَبِ الْوِزَارِيِّ وَالْمَدْعُوعِينَ
لِلْمَلْتَقَى وَمِنْ الشَّبَابِ وَالطُّلَّابِ بِالْخُصُوصِ.

(٧) مَلْحَقُ الرِّحْلَةِ

بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ عِنْدَ رَفِيقِي
الْحَاجِّ رَابِعٍ وَفَقَهُ اللَّهِ وَزَادَهُ مِنْ عِنْدِهِ، أَيُّ: بَعْدَ
الثَّلَاثَةِ مَسَاءَ الْجُمُعَةِ، خَرَجْنَا مِنْ مَنْزِلِ الرِّفِيقِ بِشَارِعِ
زِيغُودِ يَوْسُفِ الْمُطِّلِ عَلَى «لَا بَرِيش» سَاحَةِ الْبَرِيدِ
وَالْمَسْرَحِ الْبَلَدِيِّ وَالْحَدِيقَةِ الْعَامَةِ، تَوَجَّهْتُ وَإِيَّاهُ



لكن جمع بين الواديين الفقه الإسلامي والقواعد والأركان، وتذكرت في الأربعينات وبالضبط ١٩٤٥، تذكرت الطالب عبد المجيد فقيه، الذي يدرس بهذه الكلية، وجيء به مريضاً منها، وتوفي بمسقط رأسه سيدي عمران جامعة في ساعة نزوله بالقرية.

(٩) المركز الإداري:

المركز الإداري أين سكنى المدعوين والضيوف للملتقى، هو مركز التكوين الإداري وسط المدينة. فيه جميع المرافق ومُجهز بالأجهزة الحديثة، وكأنه نزل من الطراز الأنيق السامي في معناه ومدلوله. فالتحقت به بصورة نظامية بواسطة من يعرفونني وأعرفهم، والحمد لله.

واتصلت بأساتذة من الغرب الجزائري وبالضبط الميدية الأستاذ بن عواز وغيره. والأستاذ الشيخ زهير وقادري المفتش من المنطقة وابن السائح والشيخ دردور وطلحة من تيزي وزو.

كما حظيت بلقاء الدكتور عبد الرزاق قسوم في الجامعة بل في قاعة المحاضرات.

والمحامي الأستاذ سليمان الصيد والدكتور غاغ، وغيرهم كثيرون، في الموكب الرئاسي والإداري وذوي المهام الأخرى.

(١٠) الجامعة:

حقاً إنها الجامعة العظيمة، جمعت فأوعت،

نحو مسجد قموش، وتأدبنا مسجد سيدي قموش، المعروف بهذا الاسم منذ عهد آباء باديس رحمهم الله.

فكان من فضل الله أن دخلته وصليت فيه ما شاء الله من الركعات، وتذكرت الحلقات التي كنّا نجتمع ونستمع دروس العلم والمعرفة عن أساتذتنا أمثال الشيخ السعيد الزموشي ومحمد صالح رمضان والشيخ المغزي وغيرهم، وفي جامع سيدي بومعزة أيضاً، أما الجامع الأخضر فكنا نكرع أكواب العلم دروس العقيدة على شيخنا عبد الحميد، حيث كان حظ السنة الأولى سنة الأجرومية في ١٩٣٩ - بينما طلاب يفوقوننا، فحظهم أوفر في الدراسة والحصص بجامع الأخضر، حيث طبقتا القطر وطبقة الأشموني والمكودي.

(٨) ملحق:

وفي سيدي قموش سألت على بعض الإخوة والمراقبين والعرفاء، فأجابني المكلف هناك القيم بالجامع السيد «حمدان»، فمنهم من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً... من ذلك المتوفى: السيد غربي مولود رحمه الله وغيره.

ومن سيدي قموش إلى الكتانية الكلية قديماً، فدخلنا إلى مسجد العتيق، وصلينا العصر، وطُفّت في بعض أرجاء الكلية العلمية، وتذكرت آنذاك تلامذتها وطلابها، الذين هم في وادٍ والجامع الأخضر في واد... وشتان بين مُصلِح ومُبتدع،

وطابق الاسم المُسمَّى.

إِنَّهَا رَوْعَةٌ فِي التَّشْيِيدِ، إِنَّهَا آيَةٌ فِي الْإِبْدَاعِ وَالتَّنْسِيقِ، إِنَّهَا رَوْضَةٌ قَسَنْطِينِيَّةٌ قَلْبَ الْجَزَائِرِ الْمَجَاهِدَةِ النَّبِيلَةِ، إِذَا زُرْتَهَا وَزُرْتَ أَجْنَحَتَهَا وَطُفْتَ بِطَوَائِقِهَا وَمَرَكَزِهَا وَعَرَّجْتَ عَلَى أَقْسَامِ الدِّرَاسَةِ ثُمَّ أَطَلْتَ النَّظَرَ حَوْلَ الْمَصَالِحِ الْآلِيَّةِ وَالْأَجْهَازَةِ الْإِلِكْتَرُونِيكِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، تَقُولُ أَيُّهَا الشَّاهِدُ وَفِي نَفْسِكَ الْمَدْهُوشَةِ... أَنَا لَسْتُ فِي قَسَنْطِينِيَّةٍ، إِنَّمَا أَنْتَ فِي قُرْطَبَةٍ قَدِيمًا، أَوْ فِي الدَّوْحَةِ حَدِيثًا.

إذا حَلَلْتِ بها فَحَدَّثَتْ عنها وَلَا حَرَجَ مِنْ بَيْنِ الجامعات الأخرى التي شاهدها على طريق التلفزة أو الصحافة للدول العربية، وَلَا نَتَعَدَّاهَا حيث نَقَعَ في المبالغة والإطراء المذموم. زُرَّهَا وَطُفَ بها وَمِنْ حولها والحي الإداري بالخصوص، ثم بعد ذلك ناقِش الموضوع.

(١١) تابع: الجامعة:

لَعَلَّ أَيُّهَا الْقَارِئُ لِهَذِهِ الْأَسْطَر عَنْ الْجَامِعَةِ فِي قَسَنْطِينَةِ أَنَّهَا مَبَالِغَةٌ، قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ. وَقَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ:
إِنَّ جَامِعَةَ الْجَزَائِرِ أَكْبَرُ مِمَّا ذَكَرَ، أَوْ جَامِعَةُ قَسَنْطِينَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْجَامِعَةِ الْكُبْرَى فِي الْجَزَائِرِ بِمِثَابَةِ ثَانَوِيَّةٍ أَوْ كُتَيْبَةٍ
مِنَ الْكُتَيْبَاتِ. أُجِيبُ وَأَنَا مَعَ الْقَارِئِ أَقُولُ: نَعَمْ، وَأَكْثَرُ مِنْ نَعَمْ. إِنَّمَا وَصَفِي لْجَامِعَةِ قَسَنْطِينَةِ فِي فَنِّ الشَّكْلِ
الْهَنْدَسِيِّ وَالْإِبْدَاعِ. تَصَوَّرْ مَعِيَ أَيُّهَا الْقَارِئُ مَنْطِقَةَ أَقْسَامِ طُلَّابِ الْجَامِعَةِ فَقَطْ، وَنَدْعِ الْمَنَاطِقَ الْأُخْرَى
وَالْأَجْنَحَةَ الْمَرْكَزِيَّةَ الْأَخْذَاذَةَ لِمَشَاهِدَةِ الْعِيَانِ. إِنَّ هَنْدَسَةَ أَقْسَامِ الدِّرَاسَةِ حَدِيثُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ، لَذَا أَطْلُبُ
الْمَعْذَرَةَ فِي الْعَرَضِ السَّابِقِ.

أقسامُ الدِّراسة جُعِلَتْ وَكَانَها طائِرَةٌ طويِلُهُ الذَّيْلُ، لَا يَسْتَطِيعُ النَّاضِرُ مِثْلِي أَنْ يَحْدَها فِي الطُّولِ، وَكَانَ الطَّائِرَةُ تُرِيدُ الْإِنْطِلاقَ بَطُلًّا بِها لِتُحَلِّقَ بِهِمْ فِي الْجَوِّ، لِيَزْدادُوا مَعْرِفَةً وَثِقافَةً. «يَتَبَعُ»



نصرة السلفية

أَوْ: قصيدة في الردِّ على الشيخ الطاهر بن العبيدي

• الشيخ: محمد بن عبد الرحمن المسعدي

■ ترجمة الناظم باختصار:

وُلد في ١٩١٢ م - تقريبًا - في قرية «دَمْدَم» بضاحية مدينة «مَسْعَد»؛ مِنْ مَدْن «الجَلْفَة»، وَأَصْلُ أَبِيهِ مِنْ أَحْوَاز «طَنْجَة»، مِنْ الْمَغْرِب الْأَقْصَى، رُبِّيَ يَتِيمًا فِي حَجَر خَالِهِ «عُمَر بن بِلْقَاسَم»، وَكَانَ مُعَلِّمًا لِلْقُرْآن فِي أَحَدِ الْكَتَاتِيب، وَعَلَيْهِ تَعَلَّمَ الْقُرْآن، وَأَتَمَّ حِفْظَهُ دُونَ سِنِّ الْعَاشِرَةِ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآن مُسَاعِدًا لِخَالِهِ، ثُمَّ لَازَمَ الْعَلَّامَةَ الشَّيْخَ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي حَلَّ بِـ «مَسْعَد» وَ«الجَلْفَة» فِي مَطْلَعِ الثَّلَاثِينَات؛ يَنْشُرُ الْعِلْمَ وَالْإِصْلَاحَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَانْتَفَعَ بِهِ، ثُمَّ التَّحَقَّ بِقُسْنطينة وَانْخَرَطَ فِي تِلَامِذَةِ الْجَامِعِ الْأَخْضَرِ سَنَةَ ١٩٣٨ م، وَتَتَلَمَّذَ عَلَى الْأَسْتَاذِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ابْنِ بَادِيسَ، وَبَعْدَ وَفَاةِ أَسْتَاذِهِ فِي ١٩٤٠ م، التَّحَقَّ بِجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ فِي شَهْرِ سَبْتَمْبَرٍ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ، وَفَازَ بِشَهَادَةِ التَّحْصِيلِ فِي سَنَةِ ١٩٤٥ م، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ وَإِلَى مَدِينَتِهِ «مَسْعَد»، وَتَصَدَّى لِلْوَعْظِ وَالْإِرشَادِ وَالتَّعْلِيمِ الْحُرِّ فِي مَدْرَسَةِ الْجَلْفَةِ (١٩٤٦ م)، ثُمَّ مَدْرَسَةِ عَيْنِ تَمُوشَنْتْ (١٩٤٧ م)، ثُمَّ مَدْرَسَةِ الْمَغِيرِ (١٩٤٨ م)، ثُمَّ مَدْرَسَةِ الْجَلْفَةِ (١٩٥٠ م)، ثُمَّ مَدْرَسَةِ الْفَلَاحِ بِوَهْرَانِ (١٩٥١ م)، وَلَمْ يُطَلِّ بِهَا الْمُكْتَبَ، لِيَلْتَحِقَ بِمَدْرَسَةِ

تِيَارْتِ فِي السَّنَةِ نَفْسِهَا: (١٩٥١ م)، ثُمَّ مَدْرَسَةِ مَسْعَد (١٩٥٣ م)، ثُمَّ مَدْرَسَةِ طُولَقَةَ (١٩٥٤ م - ١٩٥٦ م)، لِيَلْتَحِقَ بِثَوْرَةِ التَّحْرِيرِ الْمُظْفَرَةِ اهـ.

■ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ رَايسِ الدَّمْدَمِيِّ الْمَسْعَدِيِّ الْجَزَائِرِيِّ (ت ١٩٦٨ م) رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قُلْتُ رَدًّا عَلَى الشَّيْخِ الطَّاهِرِ بْنِ الْعَبِيدِيِّ^[١] حِينَمَا قَالَ قَصِيدَتَهُ: «إِنْ تُرَدُّ عِزَّةٌ وَفَضْلٌ مَرْيَّةٌ»، الَّتِي يَنْبِزُ الْمَصْلَحِينَ فِيهَا بِأَنَّهُمْ جُهْلَاءُ وَتَارِكُونَ لِلصَّلَاةِ

[١] هُوَ أَحَدُ عُلَمَاءِ سُوفٍ، وَلِدَ سَنَةَ ١٨٨٦ م، تَخَرَّجَ مِنْ جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ (١٩٠٤ - ١٩٠٧ م)، تَوَلَّى الْإِمَامَةَ وَالتَّدْرِيسَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ بِـ «تُقُرْت» طِيلَةَ حَيَاتِهِ تَقْرِيْبًا - مِنْ ١٩٠٧ م إِلَى وَفَاتِهِ -، لَهُ مَنَظُومَاتٌ عَدِيدَةٌ فِي فَنُونِ شَتَّى، مَعْظُمُهَا فِي الْفِقْهِ؛ مِنْهَا: مَنَظُومَةٌ فِي سِتْرِ الْعَوْرَةِ؛ قَرَّطَهَا الشَّيْخُ الدِّيْسِيُّ، وَالشَّيْخُ ابْنُ بَادِيسَ - فِي ١٣٣٧ هـ = ١٩١٨ م -، وَلَهُ «النَّصِيحَةُ الْعَزُوزِيَّةُ فِي نُصْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ» - طُبِعَتْ فِي مِصْرَ سَنَةِ ١٩٥٤ م -؛ أَشَادَ فِيهَا بِالطَّرِيقَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ، وَبَفَرْعِهَا زَاوِيَةَ نَفْطَةِ الْعَزُوزِيَّةِ، وَهَاجَمَ الشَّيْبَةَ الْإِصْلَاحِيَّةَ. انْظُرْ: «تَارِيخُ الْجَزَائِرِ الثَّقَافِي» لِأَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ اللَّهِ، (٧/ ٧٤ وَ ٨٤ - ٨٥ وَ ١٣٢ - ١٣٣) وَ (٨/ ١٠٠)، وَ «تَجَارِبُ فِي الْأَدَبِ وَالرَّحْلَةِ» لَهُ أَيْضًا (ص ١٠٠ - ١٠١).

تُوفِّيَ الشَّيْخُ الطَّاهِرُ الْعَبِيدِيُّ فِي سَنَةِ ١٩٦٨ م؛ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا أَيْضًا صَاحِبُ الرَّدِّ عَلَيْهِ؛ (الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْعَدِيِّ)، بَلْ تُوفِّيَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ! هُوَ: ٢٨ جَانْفِي.

ومُناقفون.

ابتدأتها حينما قال القصيدة، فقلتُ عدة أبيات
وتركتُها، ولمَّا طبعها ونشرها في السَّنوات الأخيرة
رجلٌ من «أولاد جلال» يبيع الكتب اسمه...؟ وما
أظنه طبعها إلَّا بِمَشُورَةِ ناظمها^[١] أتممتُ نظمها،
فقلتُ وَصَمَّنتُ الشَّطرَ الأوَّلَ من طالع قصيدتي:

«إِنْ تُردِّ عِزَّةً وَفَضْلَ مَزيَّة»

فَتَتَّبِعْ طَرِيقَ خَيْرِ الْبَرِيَّة

وَاعْتَصِمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْغَرِّ

رَاءِ تَسَعَّدٍ وَتَبْلُغِ الْأَمْنِيَّة

وَأُبْذِ مَا سِوَاهُمَا مِنْ أَضَالِيهِ

لِ وَسُبُلِ تَشَعَّبَتِ لِلْبَلِيَّةِ

كَمْ رَأَيْنَا لِأَهْلِهَا مِنْ هَنَاتٍ

فَهِىَ حَقًّا وَاللَّهِ شَيْطَانِيَّةٌ

رُؤُوا غَيْرَ مَرَّةٍ فِي دِيَارِ

لِلْمَعَاصِي وَلِلْخَنَا مَبْنِيَّةٌ

جَاءَنَا الْمُرْشِدُ ابْنُ بَادِيَسٍ يَدْعُو النَّاسَ

لِلْحَقِّ وَالطَّرِيقِ السَّوِيَّةِ

مَعَ صَحْبِهِ مِنَ الْهُدَاةِ ذَوِي عَدْلٍ

مِمْ وَفَهْمٍ وَسِيرَةٍ سَلَفِيَّةِ

وَيَجْعَلُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ الْغَرِّ

رَاءَ فَضْلًا عِنْدَ اشْتِبَاكِ الْقَضِيَّةِ

وَأَقَاوِيلَ قَالَهَا السَّلَفُ الصَّا

لِحُ لَا قَوْلَ مَنْ يُرِيدُ الْعَطِيَّةِ

فَأَرْتَنَا طَرِيقَهُمْ وَجَلَّتْ أَبْصَا

رَنَا مِنْ غَشَاوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ

أَرْشَدَتْنَا إِلَى التَّعَبُّدِ بِالْمَأْ

ثُورِ وَهُوَ الطَّرِيقَةُ الْمَرْضِيَّةُ

لَا يَطْبُلُ وَلَا بِرَقِصٍ وَلَا سَمِّ

عِ لَأُغِيَّةٍ تَرُوقُ شَهِيَّةِ

لَمْ يَصُدُّوا عَنْ طَاعَةٍ لَا وَلَا ذِكِّ

رٍ وَلَا عَنْ عِبَادَةِ شَرْعِيَّةِ

إِنَّمَا أَنْكَرُوا الَّذِي لَمْ يُؤَيِّدْ

هُ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ نَبَوِيَّةِ

كَذَبَ الْمُفْتَرُونَ أَخْرَاهُمُ الدِّ

لَاهُ فَلَا تَسْمَعُوا لِدَعْوَى فَرِيَّةِ

عَجَبًا لِلْحُسُودِ يُنْكِرُ فَضْلًا

وَهُوَ بَادٍ لَهُ كَشْمِسِ نَقِيَّةِ

إِنَّ إِنْكَارَ مَا فَشَا مِنْ ضَلَالًا

تِ عَنْ الْقَوْمِ مَذْهَبُ الْأَكْثَرِيَّةِ

فَانْظُرْ إِنْ شِئْتَ حَلِيَّةَ الْأَصْبَهَا

نِي^[٢] وَمَا فِي الرِّسَالَةِ الْقُشَيْرِيَّةِ^[٣]

وَكِتَابِ الْفُرْقَانِ^[٤] وَالْمَدْخَلِ الْحَا

جِّي^[٥] وَمَا فِيهِ مِنْ رُدُودٍ قَوِيَّةِ

وَفَتَاوَى الْأَعْلَامِ فِي كُلِّ عَصْرِ

فَنَدَّتْ أَصْلَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ

وَأَتَنَا الْيَوْمَ إِنْ صَدَقَتْ بِمِثْلِ الدِّ

حَافِي وَابْنِ جُبَيْرٍ وَالْعَدَوِيَّةِ

وَالْإِمَامِ الْجُنَيْدِ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

أُولِي الزُّهْدِ وَالنُّفُوسِ الرِّضِيَّةِ

لَوْ رَأَى هَؤُلَاءِ أَشْيَاخَكَ الْيَورُ

مَ عَلَى هَذِهِ الْخِلَالِ الْبَذِيَّةِ

[٢] هو كتاب: «حليَّة الأولياء وطبقات الأصفياء» للحافظ

أبي نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ.

[٣] هي: «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» لأبي القاسم عبد الكريم بن

هوازن القشيري، ت ٤٦٥ هـ.

[٤] هو كتاب: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء

الشیطان» لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ت

٧٢٨ هـ.

[٥] هو كتاب: «المدخل» لمحمد بن محمد ابن الحاج

العبدري الفاسي، ت ٧٣٧ هـ.

[١] عدد أبياتها ٦٦ بيتًا، طُبعت في مصر سنة ١٣٧٣ هـ=١٩٥٤م، مع منظومته الأخرى: «نصيحة الشَّبَاب المزيحة للشُّحْب والضَّبَاب».

ورأوا منهم خلائق تُزري
بذوي الفضل والنفوس الزكيّة
مع تأييدهم ونصرهم الكف
فأز في كل موقف وقضيّة
ثم دعواهم الولايّة زوراً
مثل دعوى ابن حرب ابن سميّة
حكموا عنهم بكفر صراج
بنصوص من الكتاب جليّة
ثم فرّوا من بينهم وتنادوا
إننا منهم براء فهيّة
أترى ما أتى شيوخك في الأذ
كار من هيّة ومن كيّة
قد خفاه الرسول عن صحبه أم
رغبوا عن عبادة شرعيّة
وإذا ما زعمت أنك تدعو
ه كمالاً وبدعة مرضيّة
أترى في عبادة الصّحب نقصاً
وهم المقتفون خير البريّة
وكذا ما افتروا عن الحسن البص
ريّ من لبس الخرقّة الصوفيّة
من إمام الهدى عليّ أبي السبطيّة
من ذي الفضل والمزايا العليّة
وهو لم يسمع الإمام كما نص
صت نقول عليه غير خفيّة
فهي لا شك بدعة ما لها في الد
دين أصل بل هي دعوى فريّة
والحديثان في الصّاح^[١] عليها
مثل شمس الضحى تلوح جليّة

[٢] قال السّخاوي (ت ٩٠٢هـ) في «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة» (ص ٣٣٥): «حديث لبس الخرقّة الصوفيّة وكون الحسن البصري لبسها من عليّ، قال ابن دحية وابن الصّلاح: إنه باطل. وكذا قال شيخنا -يعني: ابن حجر العسقلاني- إنه ليس في شيء من طرقها ما بثت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنّ النبي ﷺ لبس الخرقّة على الصورة المتعارفة بين الصّوفيّة لأحد من أصحابه، ولا أمر أحداً من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يروى في ذلك صريحاً باطل...» اهـ.

[٣] يُشير إلى قول العبيدي:
كلّهم يدعي اجتهداً ولا تر ضيه إلا مجلّة شرقية
ويخطون من خليل وشراً ح عليه وكتبنا الأوليّة

[١] يُشير إلى ما رواه البخاريّ (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أخذت في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». وما رواه مسلم (١٧١٨) عنها أيضاً: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ».

طَلَبَ الطَّغْنَ وَحَدَهُ» فِي الْبَرِّيَّةِ
يَوْمَ حَلِّ «الْبَشِيرِ» «تُقَرَّت» [٤] يَدُ
عُوهَا لَتَكْوِينِ نَهْضَةٍ قَوِيَّةِ
لَمْ لَمْ يَأْتِهِ وَقَدْ قَالَ قَدَمًا
قَوْلَةً سَاءَتْ الْقُلُوبَ النَّقِيَّةِ
«وَنَاطِرُوهُمْ إِنْ شِئْتُمْ فِي أَصُولِ
أَوْ فُرُوعِ أَوْ جُمْلَةٍ نَحْوِيَّةِ» [٥]
فَرَمَى جَمْعِيَّتَنَا بِكَادِيبِ
وَرَمَى الْبَرِيءِ شَرُّ الْخَطِيئَةِ
يَنْبِزُ الْمُصْلِحِينَ زُورًا وَبُهًا
سَتَانَا بِتَرْكِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ
وَبَقُومِ مُنَافِقِينَ أَضَلُّوا
ثُمَّ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُعَانِدُ مَهْلًا
لَا تُكَابِرْ فَإِنَّا بِالثَّنِيَّةِ
لَمْ نُنَافِقْ وَلَمْ نَضِلْ وَلَمْ نُضْ
لِلَّ وَمَا ضَلَّ قَبْلَنَا «التَّيْمِيَّةِ» [٦]
إِنَّمَا نَنْصَحُ الَّذِينَ أَرَعْتُمْ
بِضُرُوبِ الْعَقَائِدِ الشَّرَكِيَّةِ
وَنَصَبْتُمْ نُفُوسَكُمْ شَفْعَاءَ
لَهُمْ فِي الْمَوَاقِفِ الْآخِرَوِيَّةِ
فَدَعُونَاهُمْ إِلَى اللَّهِ حَتَّى
رَجَعُوا لِلْعَقَائِدِ السَّلَفِيَّةِ

[٤] هو (فَخْرُ عُلَمَاءِ الْجَزَائِرِ) الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْبَشِيرُ الْإِبْرَاهِيمِي
-رئيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»-؛ زار:
«تُقَرَّت» -مَقَرَّ إِقَامَةَ الشَّاعِرِ؛ الشَّيْخِ الطَّاهِرِ الْعَبِيدِي- فِي
مَطْلَعِ الْخَمْسِينِيَّاتِ.

[٥] هو بَيْتٌ مِنْ مَنَظُومَةِ الْعَبِيدِي.

[٦] يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ الْعَبِيدِي:
هَذِهِ فِرْقَةٌ أَضَلَّتْ وَضَلَّتْ شَقِيَّتٌ مِنْ أَهْوَاهَا النَّفْسِيَّةِ
وَقَوْلِهِ:

وَعَلَى الْأَوْلِيَاءِ تُثْنِي أُلُوفُ الدَّ - كُتِبَ إِلَّا جَمَاعَةً تَيْمِيَّةِ
وَالشَّاعِرُ يَعْنِي: جَمَاعَةَ السَّلَفِيِّينَ؛ نَسَبَهُمْ إِلَى الشَّيْخِ ابْنِ
تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِنْ ذَهَبْنَا لِلْمَسَاجِدِ لَمْ نَذْ
هَبْ إِلَيْهَا لِأَجْرَةٍ شَهْرِيَّةِ
وَالَّذِي شِيدَ مِنْ مَسَاجِدِ فِي الْقُطْ
رَ وَمِنْ جَمْعِيَّاتِنَا الْخَيْرِيَّةِ
وَنُفُورِ الشَّبَابِ لِلْعِلْمِ تَخَدُّو
هُ الْمُنَى وَالشُّعُورُ بِالْقَوْمِيَّةِ
أَيُّهَا أَنْ تُعَابَ أَمْتُنَا بِالْجَهْلِ
وَهِيَ الَّتِي لَهَا الْأَسْبَقِيَّةِ
هَذِهِ كُلُّهَا دَلَائِلُ لَا يُنْ
كُرُّهَا إِلَّا حَاسِدٌ ذُو دَنِيَّةِ
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْكَرِيمُ تَبَنَّهُ!
ثُمَّ مَيَّزَ تَلَقَّ الْأُمُورَ جَلِيَّةِ
أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْبَهَائِمِ وَالْإِنْسَا
نِ إِنْ لَمْ يُمَيِّزْ وَأَيُّ مَزِيَّةِ!
اسْتَمِعْ نَصَحَ مَنْ يُرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ
رَ وَلَا تَتَّبِعِ النُّفُوسَ الشَّقِيَّةِ
وَأَنْبِذِ الْمُفْسِدِينَ تَسْلَمَ وَلَا تَدْ
بَعْ دَعِيًّا فِي رَأْيِهِ أَوْ دَعِيَّةِ
وَاتَّبِعِ الْمُصْلِحِينَ وَأَخْلِصْ إِلَى الدِّ
لَا هِ تَفُزْ بِالسَّعَادَةِ الْآخِرَوِيَّةِ
رَبَّنَا آتِنَا رِضَاكَ وَوَفَّقْنَا إِلَى الدِّ
خَيْرِ يَا جَلِيلَ الْعَطِيَّةِ
وَأَنْلِهَا نَبِيَّنَا الْمُصْطَفَى الْخَا
تِمَ لِلْأَنْبِيَاءِ شَفِيعَ الْبَرِّيَّةِ

أَتَمَمْتُ نَظْمَهَا وَأَنَا أَعْلَمُ بِ«طُولَقَةٍ» سَنَةِ ١٩٥٤ م،
وَقَدْ اطَّلَعَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ النُّعَيْمِيُّ [٧] وَأَعْجَبَتْهُ» اهـ [٨].

[٧] هُوَ الشَّيْخُ نَعِيمُ النُّعَيْمِي، انْتُخِبَ عَضْوًا فِي الْمَجْلِسِ
الْإِدَارِيِّ لَجَمْعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ فِي سَنَةِ
١٩٥١ م، تُوفِّيَ فِي سَنَةِ ١٩٧٣ م، وَهُوَ مِنَ الْأَدْبَاءِ الْمُتَمَكِّنِينَ
فِي شِعْرِ الرَّجَزِ، وَلَهُ فِيهِ أَنْظَامٌ.

[٨] «مِنْ آثَارِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَدَبِيَّةِ
الشَّعْرِيَّةِ وَالنَّثَرِيَّةِ»، جَمَعَهَا وَعَلَقَ عَلَيْهَا: أ. سَالِمُ عَلَوِي،
ص ٤٦-٥٠، ط. دار هومة، الجزائر.

وَهْرَانُ الْإِسْلَامِيَّةِ

في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري

وفيه أعني شهر رمضان هذا [٨٦٩هـ]، خرجت متوجهاً من واهران لتلمسان، فدخلتها في اليوم السابع والعشرين منه....

ولقد كنت في عودتي لتلمسان هذه المدة عزمت على التوجه منها لجهة فاس لأراها، فلما بلغني ما وقع بها من هذه الفتن والخطب، فتر عزمي عن ذلك. فعدت إلى واهران بشيء تسوّقته من تلمسان لأجل بيعه بالأندلس. وعزمت على التعدية والجواز من برّ العدوّة لبرّ الأندلس.

وفيه [شهر ذي الحجة ٨٦٩هـ]، كان عيد النحر بالقاهرة بالسبت، وكان عندنا بواهران بالجمعة، وخرجنا لمُصلى واهران بظاهرها، وكانت الأضحية بها في غاية الرخاء، فأبيع بها كل أربعة من جياذ الغنم بدينار.....

وفيه [شهر ربيع الآخر ٨٧٠هـ]، في يوم نصفه، سافرت في البحر الملح إلى بلاد الأندلس في مركب كبير للجنوئين مع جماعة من تجار الأندلس وتلمسان وواهران وغيرهم، وأقامت أمّ ولدي بمنزل الشيخ الإمام العالم الفاضل الصالح العابد الزاهد سيدي أبي عبد الله المعروف بابن القصار التلمساني خطيب جامع البيطار بوهران، وأحد أعيان أصحاب سيدنا الشيخ الولي العارف بالله سيدي إبراهيم التازي... فخلّفنا سيدي محمد

* هذه مقتطفات من رحلة الشيخ عبد الباسط بن خليل القاهري الحنفي (ت ٩٢٠هـ) إلى بلاد المغرب، وشيء من مشاهداته في مدينة «وهران»؛ التي كانت حينها تابعة لمملكة تلمسان الزيانية العبد وادية- وكان سلطانها إذ ذاك: محمد بن أبي ثابت، أقام الشيخ عبد الباسط بها في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، دخلها في: يوم الثلاثاء ٢٧ صفر من سنة ٨٦٩هـ، وخرج منها في: ربيع الأول ٨٧١هـ، وهي مُستَلَّة من كتابه: «الرّوض الباسم في حوادث العمر والتراجم»، بتحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٣، (ص ٣٧ و ٥١ و ٦٣ و ١٣١ و ١٨٩ و ١٩٠):

«وفيه [شهر صفر ٨٦٩هـ]، في يوم الاثنين سادس عشرينه قصدت واهران فدخلتها في سابع عشرينه آخر النهار، ثم [زرتُ الشيخ عبد الرحمن بن عزوز]؛ إمام زاوية سيدي إبراهيم التازي الماضي ذكره وذكرُ زاويته، (...) الشيخ الإمام العالم الكامل سيدي أبو العباس أحمد بن العباس المالكي، مفتي واهران^[١] (...) وهما من كبار أهل العلم والفضل بهذه البلدة فاستفدتُ (...). الكثير من (...) منهما (...)»^[٢].

[١] هو أحمد بن العباس بن محمد بن أبي هذيل الوهراني؛ شارح لامية الأفعال في الصرف.

[٢] فراغ في الأصل. والظاهر أنه يتكلم عن العلماء الذين لقيهم.

المذكور في أهلنا خلفاً جميلاً، جزاه الله تعالى عنا خير الجزاء، ورحمه رحمة واسعة، فإنه ورد علينا بعد هذا التاريخ للقاهرة حاجاً في سنة أربع وسبعين [٨٧٤هـ]، وتوجه إلى مكة المشرفة، فأقام مجاوراً بها، ومات في سنة ست وسبعين [٨٧٦هـ]....

وفيها استهل رجب [٨٧٠هـ] بالاثنين، ففيه، في هذا اليوم، ركبنا البحر عائدين إلى واهران فدخلتها في رابع رجب هذا، وعزمت على السفر في البحر في المركب التي ركبنا بها والتوجه فيها إلى جهة تونس، ثم رأيت آثار الضعف باقية بي، وأشار عليّ بعضُ خلص أصحابي بالإقامة حتى تقوى البنية وتشتد القوة، فأقمنا بها على عادتنا....

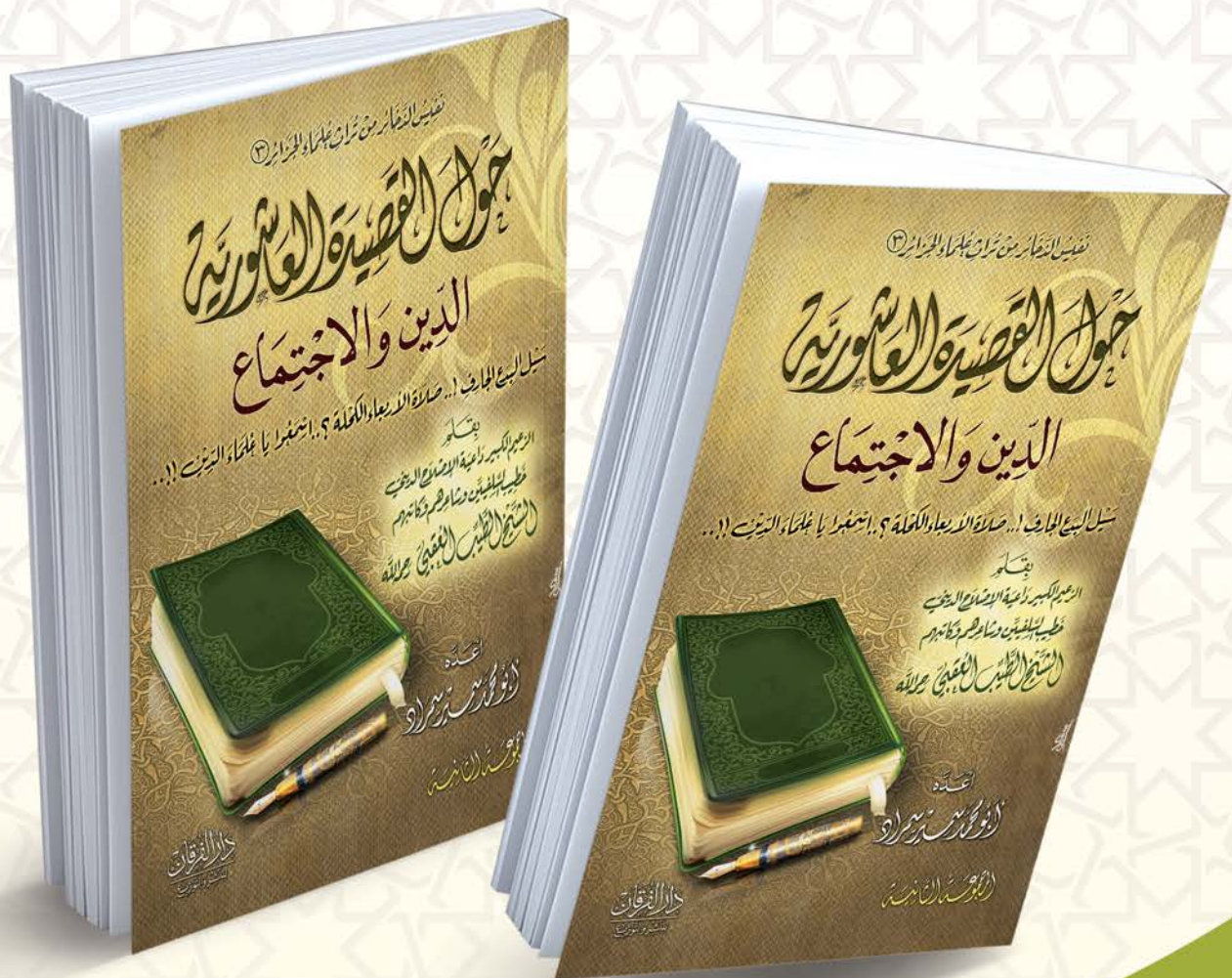
وفيه [شعبان ٨٧٠هـ]، في أواخره، ونحن بواهران ظهرت أربعة مراكب للفرنج من جهة المغرب، ففزع أهل النواحي بخارج واهران إليها، بل وأرجف بواهران أن هذه المراكب مشحونة بالمقاتلة، وأنهم قصدوا أذى المسلمين، ثم اجتازت تلك المراكب ولم تعرج لجهة واهران ولا سواحلها، وسلم الله تعالى. ثم بلغنا الخبر بأنها أخافت السبل بنواحي بجايا، وأخذت المارة، وأسرت الكثير من المسلمين....

وفيه [شهر صفر ٨٧١هـ]، في يوم تاسع عشرينه، ورد إلى ساحل مدينة واهران شونة عظيمة من مراكب الفرنج الجنوبيين برسم الاتجار في الجوخ، وكانت وردت من المحيط من بلاد افلنده، ونحوها من بلاد الفرنج بالمحيط، وتجهز كثير من تجار واهران وتلمسان للسفر فيها إلى جهة بلاد تونس. وتجهزت أنا أيضاً لذلك وعزمت على العود لهذه البلاد [يعني: القاهرة] بعد دخول تونس وغيرها من البلاد....

وفيه [شهر ربيع الأول ٨٧١هـ] في حادي عشره، ركب في البحر الملح في الشونة الماضي ذكرها، وأقلعنا إلى جهة تونس» اهـ.



من إصداراتنا



العدد السابق [١٠٤] ...



مصابيح العلم



(+213) 557 658 006



aboumohamedsamir@gmail.com



www.ilmmasabih.com